أبعاد الحضارة العربية المسلمة
في شرق أفريقيا
بين الحـــوار والصـــــراع

شـعـر أبي مسـلـم الـبـهـلاني نـمـوذجـا

دكتـــور

الشـحات غمـرى أحمـد

أســتاذ الأدب والنقد المســاعد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالشرقية

جامعـــة الأزهـــر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

في دراستي السابقة[١] عن الشاعر العماني الزنجباري (أبي مسلم البهلاني)[٢] كنت قد تكلمت عن الشاعر حياة وأدبا وعلما، وتناولت زنجبار المكان والتاريخ والإنسان ، ثم تكلمت عن أسس الحضارة الإسلامية ، المتصلة بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة ، وسائر الروافد الإسلامية وأثرها في تشكيل الحضارة .

ومن المعلوم أنه للحضارة مقدمات ونتائج ، أما المقدمات فتتمثل في أسس التشكيل وروافد البناء ، وأما النتائج : فتنعكس في الأبعاد أو المظاهر أو الملامح .

---

(١) عنوانه : أسس الحضارة الإسلامية في شعر البهلاني (دراسة في الإنسان والمكان والرؤية الإسلامية) .

(٢) هو ناصر بن سالم بن عُدَيِّم بن صالح بن محمد البهلاني الرواحي ، ولد في قرية محرم، - عُمان) ، وتوفي بزنجبار تلقى تعليمه على علماء أفاضل من عمان، وولي القضاء في زنجبار حتى أصبح رئيساً لقضاتها، أسس مجلة (النجاح) بزنجبار، عام ١٩٠٧ وتولى رئاسة تحريرها ،ونشر فيها عددا من المقالات والدراسات التي تعنى بالسياسة والتربية والاجتماع، وله عدد من المؤلفات ، تسبح في فلك السيرة النبوية والعقيدة والفقه والفكر الإباضي . ينظر في الترجمة له : تطور الأدب في عمان - للدكتور أحمد درويش: دار غريب للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٩٨م ، ومدخل إلى دراسة الأدب في عمان - دار الأسرة - مسقط (عمان) ١٩٩٢م ، وأضواء على بعض أعلام عمان، عبد الله بن حمد الحارثي - المطابع العالمية - روي - عمان ١٩٩٤م ، والأدب المعاصر في الخليج العربي، عبدالله بن محمد الطائي ، معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة ١٩٧م ، شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان، محمد بن راشد الخصيبي: (جـ٢) - وزارة التراث القومي والثقافة - مسقط ١٩٨٤، نهضة الأعيان بحرية عمان - مكتبة الجيل - بيروت ١٩٩٨، وأبومسلم البهلاني؛ حسان عمان، محمد صالح ناصر - مطابع النهضة - مسقط (عمان) ١٩٩٦. وراجع : أبو مسلم البهلاني معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين
http://www.almoajam.org/poet_details.php?id=٢٩٥

ولذلك بيت النية على مواصلة البحث في دراسة مظاهر الحضارة وأبعادها في شرق إفريقيا (زنجبار) ، متخذا من شعر البهلاني نموذجا ثرا في هذا الباب .

فمن شعره مرفأ الانطلاق ، ومن تاريخ المنطقة وما يدور فيها من صراع مرفأ ثان، مع وجود مرافئ أخرى تتخطى إليها الرؤى الشعرية ، الدائرة في فلك الأمة كلها ، في مصر والشمال الغربي الإفريقي ، وسلطنة عمان .

لذلك كانت المناهج التاريخية والاجتماعية والأدبية التحليلية الاستنباطية أقرب المناهج إلى طبيعة شعر البهلاني وظروفه التاريخية والاجتماعية ، وكانت كذلك هي الأقرب إلى طبيعة الحياة وتطورها في منطقة الشرق الأفريقي ، وعلاقة الإقليم بسائر الأقاليم المسلمة الأخرى.

فلم تكن زنجبار وشرق أفريقيا بمعزل عما يحدث في العالم من حوار قليل قصير، وصراع كثير طويل .

حيث عمل الاستعمار جاهدا على محو معالم العروبة والإسلام وما يتصل بهما من ثقافات، وقد تم في نهاية المنحدر، مجزرة دموية، سفكت فيها دماء المسلمين في (زنجبار) سنة ١٩٦٤م، وتم تحييد اللغة العربية في المنطقة، واستبدال الحرف العربي الذي كانت تكتب به اللغة السواحيلية بالحرف اللاتيني.

وبدا لي من خلال القراءات الأولى أن الدراسات الاستشراقية والكشوف الجغرافية والتنصير، كانت هي الأذرع القوية التي اعتمد عليها المستعمر، بالإضافة إلى الاحتلال العسكري الباطش الذي لم يحترم كرامة الإنسان الأفريقي، الذي كرمته الحضارة العربية المسلمة، وكان هذا الإنسان

نفسه أحد العناصر المسلمة التي أدت دورها في تأسيس الحضارة التي خرجت من رحم الإسلام، وأصلت لحقوق الإنسان وعمارة البلدان .

ووازنت بين الرؤى المختلفة في شعر البهلاني ، وبين المعطيات التاريخية فوجدت علاقة قوية بين التاريخ والإبداع البهلاني في شرق أفريقيا . وتبين لي أن الإسلام وعلومه المتنوعة كانت البعد الحضاري الأكبر من أبعاد تلك الحضارة ومظاهرها، بما أن اللغة العربية هي لغة تلك الحضارة ، كان طبعيا أن يكون العنوان مشتملا على(العربية والإسلام) .

ولكل الأسباب السابقة وجدتني مدفوعا إلى دراسة شعر البهلاني بين الحوار والصراع ، وجاء العنوان المختار للدراسة : (أبعاد الحضارة العربية المسلمة في شرق أفريقيا بين الحوار والصراع شعر أبي مسلم البهلاني نموذجا) .

وأعددت الدراسة ـ في ثلاثة مباحث بعد المقدمة ، على النحو التالي :

في المبحث الأول (أبعاد الحضارة في دائرة الحوار، من شعر أبي مسلم البهلاني)، مهدت فيه إلى الدولة البوسعيدية ودورها في إعلاء الشأن العربي والإسلامي في زنجبار وشرق أفريقيا، ثم رصدت المعالم الحضارية في شعر البهلاني مع التحليل الفني للنصوص الشعرية المختارة، ودور أدوات التشكيل الفني في إبراز المعلم الحضاري من خلال الرؤية الشعرية في ذلك .

وكانت تلك الأبعاد الحضارية هي: **البعد الأول**: (نظام الحكم: مصطلحا وملامح) حيث وجود مصطلحات تتصل بالإسلام وتاريخه

الحضاري، ثم الملامح العامة للحاكم المسلم ممزوجة بالملامح الخاصة المستقاة من الروح والثقافة الإسلامية في الحكم والحاكمية.

البعد الثاني: القضاء والتشريع، حيث أتوقف عند القضاء بوصفه قيمة من قيم التحضر حين يفصل بين الخصومات، وينتصف للمظلوم من الظالم، فيأمن المجتمع على نفسه وماله وعرضه، ورصد هذه القيم من خلال شعر البهلاني .

البعد الثالث: العلم والعلماء إذ أقوم برصد هذا البعد من أبعاد الحضارة العربية المسلمة في شرق أفريقيا في ثلاث خطوات، من خلال التفاعل الشعري والحوار الحضاري الذي قدمه لنا أبو مسلم البهلاني ، فقد تكلم عن العلم ودوره في نهضة الأمم، ثم تفاعله البناء مع العلماء في الحياة وعند الممات، ثم تقريظه لبعض المؤلفات العلمية في زنجبار وغيرها، التي تم تأليفها بعقول عربية مسلمة ، وطبعت ونشرت في زنجبار أو في غيرها من الحواضر الإسلامية الأخرى .

أما المبحث الثاني: أبعاد الحضارة الإسلامية في دائرة الصراع، وفيه سأدرس الصراع السياسي والعسكري ، حين جثم الاستعمار على صدر المسلمين في عمان وزنجبار وشرق أفريقيا وغيرها من المواطن المسلمة الأخرى .

في الوقت الذي باتت قصائده سلاحا معنويا يوجه به المسلمين إلى وجوب مقاومة الاستعمار، تارة يبرز مخازي المحتل الذي أهدر حقوق الإنسان، وتارة يخاطب المسلمين خطابا شعريا مستفزا ومحركا به النخوة ، ومنشطا به روح الجهاد والمقاومة .

ولم يتوقف شعره الاستنهاضي عند حدود زنجبار وعمان وشرق أفريقيا، بل تعدى ذلك إلى مصر، وموقفه من المؤتمرين القبطي والمصري، في عامي ١٩١٠م، ١٩١١ م ، في أسيوط والقاهرة .

أما البعد الثاني فهو: الصراع الحضاري في بعده العلمي، حيث فطن البهلاني للدور الخطير الذي يؤديه الاحتلال وأذياله من العملاء، وأدرك الرجل ما يصبو إليه المستعمر من تفريغ بلاد المسلمين من العلم والعلماء، فأخذ الشاعر يخصص بعض رؤاه الشعرية لمؤازرة الغيورين على العلم والعلماء، من خلال إشادته بمن أنشؤوا المدارس وقاموا على رعايتها ، وكذلك مؤازرته لطلاب العلم من المبتدئين .

البعد الثالث: الصراع العقدي: الذي تتضح فيه رؤاه الشعرية التي واجه فيها الإلحاد والشيوعية والعلمانية ، وغير أولئك من التيارات الجارفة ، التي اجتاحت العالم العربي والإسلامي في تلك الآونة، ولم يتوان شاعرنا في الدفاع عن الإسلام عقيدة وشريعة ومنهجا ، في مواجهة المذاهب الهدامة ، القادمة من الشرق والغرب على حد سواء.

متوقفا في كل ذلك عند النص الشعري بالدرس والتحليل الفني ، الذي يرصد القيم الجمالية من خلال دورها في التشكيل الشعري للحضارة العربية المسلمة في دائرتي الحوار والصراع .

وأما المبحث الثالث فسأفرده لخصائص التشكيل الفني للأبعاد الحضارية في شعر البهلاني، وسيكون على النحو التالي:

أولا: الفكرة الشعرية والعلوم البينية: يدرس ألوان الفكرة الشعرية واتصالها بالعلوم والثقافات إلى جانب الفكرة المنطقية الفلسفية، المتصلة اتصالا وثيقا بعلم الكلام في الحضارة الإسلامية منذ نشأتها

ومازالت، فضلا عن الفكرة الصوفية ومنها الحقيقة المحمدية كما هي في المنظور الشعري البهلاني، ووجودها حقيقة صوفية لدى سائر المبدعين من المتصوفة، ثم الفكرة الفقهية التشريعية المرتبطة لدى شاعرنا بالجانب الدعوي، الحريص على أداء دوره الريادي في ممارسة الإبداع للدور الشريف آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر، ثم الفكرة المتصلة بعلم من علوم القرآن، ألا وهو علم التجويد وأحكام التلاوة.

ثانيا: اللغة والأسلوب: أدرس فيه المعجم الشعري بين الجزالة والغرابة، ثم توظيف المعجم الفقهي في غير سياقة، ثم التكرار بلونيه التعبيري الفني، والصوفي الإنشادي التعبيري، ثم أتناول البديعات الموسيقية والمعنوية، المتمثلة في الترصيع والتشطير والطباق، ثم الاقتباس والتضمين (التناص) من القرآن الكريم، والسنة النبوية، ثم استيحاء التاريخ العربي الإسلامي (التناص)، ثم استلهام الأشخاص والمقولات، ومنها الفاروق عمر، والحجاج بن يوسف الثقفي. والخنساء الشاعرة، ثم التناص الفني التعبيري مع الأمثال العربية والأشعار، ومن الأنماط الأسلوبية التعبير بالمصطلح النحوي.

ثالثا: التصوير الفني لمعالم الحضارة، وهو ما أقوم فيه باختيار صورة شعرية كلية، وأحللها فنيا لتبيان العناصر الجزئية التي شكل منها البهلاني صورته الكلية، كنموذج يصدق على مجموع صوره الفنية.

هذا ... فإن وفقت في العرض والتحليل الفني فهو توفيق الله ورعايته، وإن كانت الأخرى فحسبي أنني اجتهدت، أصبت تارة وأخطأت أخرى، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت، وإليه أنيب.

دكتور/ الشحات غمري أحمد

أستاذ مساعد الأدب العربي ونقده

كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين

بالشرقية

المبحث الأول

أبعاد الحضارة الإسلامية في دائرة الحوار من شعر أبي مسلم البهلاني

الحوار كما هو في هذا السياق يقصد به تقديم بعض معالم الحضارة العربية المسلمة في شرق إفريقيا للمتلقي، سواء أكان من المحيطين بالبيئة الإفريقية للشاعر أم من أولئك القراء من جموع العالم العربي والإسلامي، أو من يطالع النص من المستشرقين وغيرهم في ربوع العالم، من المعنيين بالحضارة العربية والإسلامية أينما كانت مناطق إفرازها وتشكيلها.

والحضارة في شرق إفريقيا بعامة لم توجد طفرة وإنما خضعت لعامل الزمن مثلها مثل الحضارات الأخرى في العالم، وكان الإسلام هو المحرك الأساس والمكون الرئيس لها في كل أبعادها.

وهذه الحضارة في مجملها هي الإنتاج الفكري والمادي اللذان أسهم في بنائهما المسلمون تحت قيادة ورعاية عربية، منذ أن أصبح ساحل الشرق الإفريقي موطنا للإسلام منذ العصور الوسطي، فهي من أجل ذلك حضارة عربية وحضارة إسلامية.

وقد تآزر في بناء الحضارة الإسلامية التي انتظمت علي طول سواحل شرق إفريقيا، العرب والفرس والهنود والأتراك والمصريون بالإضافة إلي الأفارقة من البانتو والجالا والصوماليين والأحباش والسواحيليين، وكلهم قد انتظموا في سلك الإسلام أو عاشوا تحت إدارة حكامه من المسلمين .

وقبل البدء في تناول الملامح الحضارية أود التوقف سريعا أمام ما سجله التاريخ السياسي لمؤسس الدولة البوسعيدية (السيد سعيد بن سلطان البوسعيدي ١٨٠٤-١٨٥٦م) .

فبعد أن تم دحر الاحتلال البرتغالي من سواحل سلطنة عمان ازدادت من جديد الهجرات المتوالية من عمان إلى السواحل الأفريقية، وامتدت آفاق الاتصال البحري على المستويين الاجتماعي والاقتصادي بين الساحلين، حتى ألحت الحاجة على وجود دولة عربية عُمانية مسلمة على السواحل الأفريقية.

وقد كان من أقوى الأسباب الملحة على ذلك الحاجة إلى وجود موقع تجاري في المحيط الأطلسي على طريق رأس الرجاء الصالح يكون مسلكا سريعا إلى الهند [٣].

من هنا انتقل (السيد سعيد بن سلطان البوسعيدي) إلى الشرق الإفريقي، ومنذ ذلك الوقت بات حكمه تحولا تاريخيا هاما في آفاق العلاقات العُمانية الأفريقية، ذلك أنه قد حول عاصمة ملكه من مسقط إلى زنجبار، وبدءا من عام ١٨٣٢م أصبحت زنجبار عاصمة الإمبراطورية العُمانية، وقد أدى ذلك إلى انتقال طائفة من العُمانيين إلى شرق أفريقيا، وامتد سلطانه إلى جميع الجزر في شرق إفريقيا وكان نفوذه يمتد في الشمال والجنوب حتى قيل: إنه إذا ضرب السيد سعيد طبله في زنجبار، رقصت عليه كل غابات أفري قيا [٤] .

---

(١) أنظر : عمان في أمجادها البحرية ، مجهول المؤلف ، ص ٥٨ – ٥٩ وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤ م .

(١) راجع : العُمانيون وأثرهم في الجوانب العلمية والمعرفية بشرق إفريقيا ، ص ١٨١ ، أحمد بن حمد الخليلي المنتدى الأدبي ، حصاد ندوة ١٩٩١- ١٩٩٢م ، وزارة التراث

هذا النفوذ وذلك السلطان في الشرق الأفريقي أدى بطبيعة الحال إلى قيام دولة إسلامية عربية لها تاريخها وتراثها فصبغت الساحل الأفريقي بصبغتها ولونها الإسلامي- العربي المتميز المتفرد، وهو ما سهل انتشار الإسلام بوصفه دينا جديدا بين السكان المحليين، سواء في الجزر أو على امتداد المدن في الساحل الإفريقي.

ثم قام السلطان بجلب شجر القرنفل ، مما أدى إلى زيادة ثروات البلاد وانتعاش اقتصادها(٥) وعمل في الوقت ذاته على ترسيخ مبدأ التسامح وتوطيد الأمن الاجتماعي على المستوى الداخلي للبلاد ، فقد صدرت أوامر منه بعدم التعرض للمذاهب الدينية وأن كل مذهب يتبع حكم مذهبه(٦).

وقد أحكم سياسته الخارجية وأحسن تدبير أمرها، من خلال إبرامه المعاهدات والاتفاقيات والجهود الواضحة لدى سفرائه إلى البلاد العربية والأوروبية وأمريكا، الذين نجح دورهم السياسي ومعطياتهم الدبلوماسية في توطيد العلاقة بين السلطنة وتلك البلاد الموفدين إليها (٧) .

وفي هذه الحقبة التاريخية البوسعيدية " تميزت العلالقات العمانية المصرية عبر التاريخ الحديث بالثبات والود،وشهدت العلالقات بين البلدين تطورا ملحوظا في عهد سعيد بن سلطان (١٨٥٦ -١٨٠٦م) ونظيره المصري محمد علي باشا (١٨٤٨ -١٨٠٥م) والذين تميز عهدهما بالازدهار وتوسع نفوذ بلديهما، واتصفت العالقات بين الزعيمين

القومي ، ١٩٩٢م ، وأنظر كذلك : عُمان والحضارة الإسلامية ، ص ٢٩١ ، فهمي جدعان ، وتوفيق مرعي ، وزارة التربية والتعليم ، سلطنة عُمان ، ١٩٨٤م .

(٢) العُمانيون وأثرهم في الجوانب العلمية والمعرفية بشرق إفريقيا ، ص ١٨١ .

(٣) سعيد بن علي المغيري، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار ، ص٢٧١.

(٤) جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار،سعيد بن علي المغيري، ص٢٦٨

بالتقدير المشترك، فقد تضمنت الرسائل المتبادلة بينهما إعجاب السيد سعيد بالبناء الحديث للدولة الذي أقامه محمد علي في مصر ورغبته في إقامة علاقات أكثر ثقة مع باشا مصر " [٨] .

وهو بذلك قد مهد الطريق وتركه معبدا لمن جاء بعده من السلاطين، فكان إرثهم مجيدا كريما عربيا مسلما، على مستويات العقيدة والسياسة والاقتصاد والاجتماع .

فما هي الأبعاد الحضارية التي أبدعها الإنسان العربي المسلم في شرق إفريقيا، تلك التي قام شاعرنا برصدها وصياغتها دررا شعرية ناصعة قلد بها جيد الزمان الإنسان العربي المسلم ؟

البعد الأول : نظام الحكم : مصطلحا وملامح

كانت هناك في شرقي أفريقيا ممالك كأكسوم وأوغندا ومونوتابا[٩]، وكذلك مملكة الزنج كما حكى المسعودي[١٠] ولكنها لم تكن دستورية، فلم تخضع لقانون، بل كان يحكمها بالوراثة ملوك مستبدون متألهون، وتحت إمرتهم أمراء إقطاعيون أكثر استبدادا وظلما، فالملك وأعوانه هم أصحاب المال وأصحاب السلطان ، بل كان لملك أوغندة حق الحياة والموت على شعبه[١١].

---

(١)الإمبراطورية العمانية في عهد السيد سعيد بن سلطان(١٨٠٦ – ١٨٥٦م) عماد البحراني ص٥ – سلطنة عمان (بدون) ، وانظر : عمان في التاريخ ،وزارة الإعلام العمانية – دار إميل للنشر،لندن ،١٩٩٥م،،ص٤

(٢)أفريقيا تحت أضواء جديدة ، دافدسن ، ص ٣٢٠ وما بعدها

(٣)مروج الذهب ٢ / ٦ .

(١) النيل ، إيميل لودفغ ، ص ٥٨ – ٥٩ ، تعريب عادل زعيتر ، دار المعارف ، ١٩٥١ م ، والدعوة إلى الإسلام ، توماس أرنولد ، ص ٣٩٨ ، ترجمة الدكتور حسن إبراهيم وآخرين ، ط ثالثة ، ١٩٧٠ م .

وما عدا هذه الممالك فقبائل بدائية، قانونها القوة، وعاداتها السلب والغارة، وحياتها حروب لا تهدأ، والغريب عن القبيلة عبد لها، ويخضع أفراد القبيلة لعرفها الذي له سلطان القانون ، وكانت هناك عقوبات متعارف عليها لمن يخالف أعراف القبيلة ، ينزلها بالمخالف زعيم القبيلة المستبد ، الذي هو في نظرهم نصف إله، وعرف القبيلة هذا عرف جائر إذ كان يعد بعض أفراد القبيلة أنجاسا كالحذائين والحدادين ، ويحل إعدام أي شخص إذا ادعى أنه حلت فيه روح شريرة [١٢]، وباعتناق الإفريقيين للإسلام كونوا دولا دستورية ذات نظام سياسي راق ، اتخذت الشريعة الإسلامية دستورا لها ونبراسا[١٣].

ولكن قبل العصر الحديث في شرق إفريقيا، لم يحمل أرباب الحكم من المسلمين الذين تعاقب حكمهم علي الساحل الشرقي لإفريقيا خلال فترة العصور الوسطي واحدا من ألقاب الخلافة الإسلامية وشاراتها المختلفة مثل (خليفة المسلمين) أو (أمير المؤمنين) أو (الإمام) وغيرها من الألقاب التي حملها الخلفاء المسلمون من قبل، مع أن الحكام على هذا الساحل طبقوا أحكام الشريعة الإسلامية في أحكامهم فاكتفي بعض الحكام بأن حمل لقب (الشيخ) وهم حكام إمارة مقديشو الإسلامية، وحمل بعضهم لقب "سلطان" وهم أمراء سلطنة الزنج الإسلامية في كلوه"[١٤].

---

(٢) انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له د/ محمد عبد الله النقيرة، ص ٢٦٤ ، دار المريخ ، الرياض ، السعودية ، ١٤٠٢ ه / ١٩٨٢ م .

(٣) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، للقلقشندي ، ٥ / ٣٣٥ ، دار الكتب المصرية ، ١٩٣٩ م ، ورحلة ابن بطوطة ، ص ٢٥٦ ــ ٢٥٨ .

(١) الإسلام والمسلمون في شرق إفريقية ، عبد الرحمن زكي ، ج ١ ، ص ١١٩ ، القاهرة ، ١٩٦٥ م.

وبالنظر في شعر البهلاني نجده استخدم ألقابا متنوعة من خلال مؤازرته للسيد حمد بن ثويني (١٣١٠-١٣١٤ هـ) وأول الألقاب استعمالا في شعره عن هذه الشخصية الحاكمة هو (الملك) في مثل قوله:[١٥]

هِمَمُ الملوكِ أجلَّها أعْظامها ... بالحلم سادَ مِنَ النفوس عِصَامُها

والحِلْمُ أسٌّ والكمالُ بَنيَّةٌ ... رُفِعَتْ عَلَى أرْكانه أعْلامُها

والحلم أرواحٌ وكل زكيةٌ ... ولع الكرام بصنعها أجسامها

وصَنَائعُ الأحْلام أنفسُ مفخرا ... مِنْ كُلِّ مفخرةٍ يسودُ كِرَامُها

كنقيبةِ الملكِ الحليمِ فإنه ... للكائناتِ مَلاكُها وقوامها

مَلِكٌ مُقدَّسَةٌ هيولياته ... من أنْ يضافَ لفطرةٍ أعظامها[١٦]

واضح أن الرؤية هنا ترسم صورة للملك (السلطان) مصوغة من الحِلْمِ الذي أسست عليه بقية الملامح التي تمتعت بها الشخصية الممدوحة، وهي صورة لا تختلف كثيرا عن الصورة المرسومة للملوك الآخرين، أيا كانت جنسيتهم، أو عقيدتهم، وهي في كل الأحوال ملامح مطلوبة في الشخصية السياسية الحاكمة، وبخاصة إذا كانت على هرم السلطة، الملك أو السلطان أو الرئيس .

ونجده في موطن آخر يجمع بين مصطلحات الملك والسلطان والسيد في قوله:[١٧]

---

(٢) الديوان : ص ٣٨٥ .

(٣) الهَيُولَى - بضم الياء مخففة أو مشدد - (عند القدماء) : مادةٌ ليس لها شكل ولا صورة معيّنة، قابلة للتشكيل والتصوير في شتَّى الصور ، وهي التي صنع الله تعالى منها أجزاءَ العالم المادّية، مادَّةُ الشيء التي يصنَع منها ، كالخشب للكرسيِّ ، والحديدِ للمسمار ، والقطنِ للملابس القطنية، المادة كلها معرَّبة .

(١) الديوان ص ٣٨٧ .

أبْقى ثويني في الوجود مَفاخِرا يَجْلِي النجومَ مسيرُها ودوامُها

فأتى ابنُه الملكُ العظيمُ بخُطة الشْـ ـــشَرَفِ التي جَلَّتْ وعزَّ مرامُها(١٨)

السيدُ السلطانُ نورُ المِلة الْـــ ـــغَرَّا ورُوحُ حَيَاتِها وقوَامُها

حَمَدُ الذي سَطواتُه لو عَارَضَتْ شُـــمَّ الْجِبَـــال لنسَّـــفَتْ أجرامَها

ونلاحظ في صياغة الشاعر إلحاحه على الصيغة المضعفة في الأفعال التي احتوت زمن العطاء الحاكمي الذي قدمه سلطانه حمد (جَلَّتْ - نَسَّقْتْ)، وزيادة المعنى من زيادة المبنى.

على أننا لا ينبغي أن نتوف عند المصطلح كثيرا ، ولكن ينبغي أن نجلي بصورة أكبر الملامح التي حاول أن يرسمها الشاعر في شخص الحاكم ، أعني ملامح البعد الحضاري فيما يتصل بالحكم والحاكمية .

وأول ملمح من ملامح السياسة الشرعية ضمن إطار الحضارة العربية المسلمة هو الشورى ونرصده لدى شاعرنا حيث يقول في معاصره السلطان حمد بن ثويني(١٩):

أيَّامُه أعيادُ كل مؤْمن يَغْتَبِطُ الدينُ بهنَّ والتقى

جواهرٌ قد نُظِّمَتْ وفُصِّلَتْ بالعدْلِ والإحسان في سِلْكِ الْهدَى

لعقلهِ وهمِّهِ وعزْمِهِ شورى فعيْنُ الرَّشْدِ ما به قضَى

صحيح أن هذه الأبيات قد خلت من العاطفة الشعرية تماما وغلبت عليها روح النظم، غير أنها في سياق آخر دالة على قيمة الشورى في

---

(٢) مرامها : منالها .
(٣) الديوان ص ٣٩١ .

نظام الحكم الإسلامي ، انطلاقا من قول الله تعالى (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)[٢٠].

يضاف إلى هذا النص القرآني نص آخر يجمع بين الرحمة ولين الجانب وعدم الفظاظة وغلظة القلب في التعامل مع أفراد الرعية، حيث قول الله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)[٢١].

ذلك أن "الشورى: اصطلاحا طلب الرأي من أهله، وإجالة النظر فيه، وصولا إلى الرأي الموافق للصواب"[٢٢]، أو هي (تبادل الآراء في أمر من الأمور لمعرفة أصوبها وأصلحها لأجل اعتماده والعمل به)[٢٣]، وكل ذلك إنما يتحقق في رحاب العدل والإحسان، والرحمة والمساواة تلك التي نتلمسها في قول الشاعر : (جَوَاهِرٌ قد نُظِّمَتْ وفُصِّلَتْ بالعدْلِ والإحسان في سِلْكِ الهُدَى) .

الملمح الإيماني الإسلامي :

وهو ذلك البعد الذي ينميه الإسلام في أتباعه بحيث تصبح الشخصية مصبوغة بروح الإسلام، وفي مثل هذا يقول البهلاني في ثويني[٢٤].

---

(١) الشورى / ٣٨ .
(٢) آل عمران / ١٥٩ .
(٣) الشورى في الشريعة الإسلامية ١ / ٢٨، القاضي حسين بن محمد المهدي ،تقديم: د. عبدالعزيز المقالح ، بوزارة الثقافة ، السعودية ، ٢٠٠٦م
(٤) مناهج الشريعة الإسلامية ٢/ ١٢٨ ، الشيخ أحمد محيي الدين العجوز ، مكتبة المعارف - بيروت ١٤٠١هـ ١٩٨١م
(١) الديوان ص ٣٩٠ .

استغفرُ اللهَّ تكاد نفسُه بســمْتِ هَــدْيِ الأنبيـــــاء تُجْتَلى

رحَابُهُ مشاعرٌ قُدْسِيَّةٌ مَنْ فرَضَ الحجَّ إليهنَّ اهتدى

قد أفلحَ الدَّهْرُ به والمؤمنون وفلاحُ الكون في يُمْن الْهُدَى

تَشَعْشَعَ النورُ بوجههِ فما بالشمس مِنْ نور فمِنْ ذاكَ السَّنا

هُدَاهُ فُرْقانٌ وحَدُّ سَيْفِهِ الْ فاروق في محص الضلال والعمى[٢٥]

صفاته يعجز عنها الشعراء مثل عجز النمل عن قضِّ الحصا[٢٦]

وأول قيمة في هذه الرؤية هي تخلق السلطان الحاكم بخلق الأنبياء ، فنفس السلطان في المنظور الشعري تكاد تتسم بسمت الأنبياء ، ويحرص الشاعر على استخدام فعل يفيد التشبيه والمقاربة (تكاد) ويستفتح البيت بصيغة الاستغفار احتراسا من أن يظن المتلقي أن الشاعر لا يعرف حدود الأنبياء والمرسلين ، والمنزلة الرفيعة التي لا يدانيها أحد من خلقه.

والتراكيب التي شكل منها الشاعر رؤيته ، تعرب عن الإسلامية في الحكم والحاكمية : مشاعر قدسية – فرض الحج – أفلح المؤمنون – يمن الهدى – هداه فرقان – حد سيفه الفاروق في محو الضلال) . وهي تراكيب تعكس قيما مستقاة من المنظور الإسلامي في نظام الحكم .

---

(٢) محص الشيء محصاً ومحّصه تمحيصاً: خلّصه من كلّ عيبٍ. ومحّص الذهب بالنار:خلّصه مما يشوبه.
(٣) قض الحصا : كسره .

وإذا كانت السلطنة جزءا من النسيج الإسلامي الأممي ضمن منظومة الخلافة الإسلامية المنشودة ، فإن شاعرنا يضفي على ممدوحه السلطان حمد هذا الملمح في قوله[٢٧] :

أوَ ما ترى سِرَّ الخلافةِ أشْرَقتْ بظهوره وتباشرتْ أعْلامُها؟
واهتزَّ منبرُها وهلَّلَ عرشُها وتَهَلَّلتْ فرَحا به أيامُها؟
وأغاث إسْلامُ البسيطة بعْدَ أنْ كادتْ يُوَدِّعُ أهلُها إسلامَها
وأمدَّ ناموس الشرائع بالتي يرضي الإله من الجهاد قيامها[٢٨]

ورث المسلمون من الآباء والأجداد نظرية سياسية مستقرة متكاملة، خلافة تتبعها إمارات لكل إمارة واليها أو أميرها أو ملكها وسلطانها، أيا كانت المصطلحات السياسية في هذا الإطار. ولذا جاءت هذه الرؤية الشعرية تعلي من شأن هذه الحقيقة التاريخية الحضارية في الأمة الإسلامية، من خلال الصورة الناصعة التي رسمها – هنا – للسلطان (حمد) .

إذ يلتحم الشاعر مع المتلقي معلنا تعجبه أو إعجابه بالعطاء السياسي الذي قدمه السلطان من خلال استفهامين للتعجب، فبعطائه تولد الخلافة الإسلامية من جديد، ميلادا جاء التعبير عنه بصورة شعرية تجسد الأمل، وهي لحظة الإشراق (أشرقت بظهوره) يعقبها الشاعر بصورة خبرية تفيد التحقق والوقوع التعبير عن المستقبل بصيغة الماضي (وتباشرت أعلامها)، ثم يعبر شاعرنا عن الأمل المنتظر بصور شعرية تشخيصية (استعارات مكنية) (اهتز منبرها - وهلل عرشها - وتهللت فرحا به أيامها).

---

(١) الديوان ص ، ٣٨٧ .
(٢) الناموس : وعاء العلم .

ولـن تتحقـق الخلافـة إلا بالإسـلام، ولـذا نـاصـر السـلطان الإسـلام وشريعته وأغاث أهل الملة من الجور والبطش ، بعد أن كاد النـاس أن ييأسـوا مـن نصـير لهـم ولقضـاياهم ، كـل ذلـك العطـاء مـن خـلال الجهـاد الإسـلامي المقـدس الـذي يـدافع عـن العقيـدة ، ويناصـر الشـريعة، حسـب مقال الشاعر في هذا المقام .

ومـن الملامـح الحضـارية كـذلك العمـل علـى نهضـة الأمـة ، علـى المستوى الداخلي، والعمل السياسي الدؤوب على تـأمين العمق الأمنـي القومي للدولة في ظل نظام حكم يتوخى العدل بين أبنـاء الـوطن . ومـن النشـاط السياسـي المتصـل بهـذا الملمـح مـا يرصـده شـاعرنا فـي رحلـة السلطان (حمد) في البلاد الإفريقية في قوله:[٢٩]

بَارَكَتَ افريقيا لمّا سفرتَ بها انت المباركَ في حِلَ وفي سفر
فما تركتَ شقيا غيرَ مستعد ولا تركتَ كسيرا غيرَ منجبر
إذا ترحّلتَ عن قطر وجدت به لِمَا تَقِيمَ به مِنَ صالح الاثر
كانَ نفسك في الاكوان ساريةَ والجوهرَ الفردَ قالوا غيرَ مَنْشَطِر

إنه يرصد إحدى رحلات السلطان في إفريقيا مسبغا عليه سمات تتصل بالإسلام وشريعته وهي أنه كان سخيا معطاء للشعوب التي تفاعل معها في زيارته ، فقد أسبغ الشاعر عليه سمات البركة وكسر المجبورين، ومحاولة إنماء البلاد المجاورة على مستوياتها المختلفة .

وكثر أسلوب الطباق تعبيرا عن حالتين متناقضتين: (حل – سفر) طباق يعبر به الشاعر عن العموم والديمومة والشمول، والطباق بين (شقيا /

---

(١) ديوان أبي مسلم ،ط وزارة التراث القومي والثقافة ص ٣٩٩ .

مستعد) يعبر به عن تبديا الحال من السيئ إلى الحسن، ومن الشر إلى الخير، وكذلك الطباق: (كسير/ منجبر).

البعد الثاني : القضاء والتشريع :

نهضت حكومات شرقي أفريقيا المسلمة بالواجبات التي تناط بها الحكومة في الإسلام، فأقامت الدولة الإسلامية الشرعية التي نهضت بالواجبات الدينية والدنيوية معا، وقلدت القضاة للفصل بين الناس والنظر في المظالم[٣٠].

كان القاضي يتمتع بمكانة سامقة في شرق إفريقيا في العصور الوسطي التي سبقت عصر شاعرنا ، وكان يختار من جماعة العلماء والزاهدين الثقات، وحين زار ابن بطوطة مقديشو ذكر ذلك فقال: إن القاضي يلي الشيخ في الأهمية والمكانة الرفيعة[٣١]. و تنظر في الفصل في القضايا هيئة تتكون من القاضي والوزراء وكاتب السر ، وأربعة من كبار الأمراء ، للفصل بين الناس والنظر في الشكاوي ، أما النظر في المظالم كما ذكر ابن بطوطة فكان من شأن السلطان نفسه[٣٢]. ووظيفة المظالم في قول ابن خلدون : وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ، ونصه القضاء ، وتحتاج لعلو يد وعظيم هيبة ، تقمع الظالم من

---

(١) انظر: صبح الأعشى ٥ /٣٣٥، وانتشار الإسلام في شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له، د/ محمد عبد الله النقيرة ، ص ٢٦٥ .
(٢) تحفة النظار ، ابن بطوطة ، ص ١٨٩.
(١) المرجع نفسه .

الخصمين وتزجر المعتدي[٣٣] وأضاف ابن بطوطة بأن القاضي تقي ورع وبارع في الفقه الإسلامي ، وملم بنصوص المذهب الشافعي[٣٤].

وكان القضاء في زنجبار من أهم أركان الدولة البوسعيدية العربية الإسلامية، وكانت الشريعة الإسلامية هي مصدر التشريع وهي الوجهة المثلي التي يتوجه إليها القضاء الزنجباري في أحكامه.

فقد (كان القضاء في عهد سعيد على درجة كبيرة من البساطة ، وظل القرآن الكريم هو أصل التشريعات ومصدر الأحكام ، وكان السلطان يحكم في القضايا المهمة بنفسه، أما القضايا الأقل أهمية فكان يتركها لابنه الأكبر (خالد) أو لحاكم مدينة زنجبار، أما القضايا العادية فقد تركت للقضاة الذين كان يعينهم للحكم فيما يحدث من منازعات تجارية أو غيرها بين رعاياه)[٣٥].

وكان بعض القضاة من السنة وبعضهم الآخر من الإباضية، وكان كل قاضي يعقد محكمته في منزله، وبعد الظهر يوميا يذهبون إلى (بيت الساحل) للاستماع إلى القضايا التي لا يريد أصحابها البت فيها في بيوت القضاة، وكان رئيس الوزراء يذهب إلى ذلك المكان ليستمع إلى الأحكام الصادرة.[٣٦] ومن جاء بعد السلطان سعيد لم يغير كثيرا من النظام القضائي المعمول به في الدولة العربية المسلمة في شرق إفريقيا. وبالنظر في شعر البهلاني نجد عددا من القصائد يلح فيها على قيمة

---

(٢)مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد ابن خلدون، (جـ ٢) القاهرة ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ / ص ٥٧١.
(٣) تحفة النظار ، ص ١٨٩.
(٤) الخليج العربي ، د جمال زكريا قاسم ، صـ ٢٢٢ ،
(١) راجع : البوسعيديون حكام زنجبار ص ٧٣ .

العدل يحبب فيها النفوس، ويذكر الظلم منفرا منه المتلقي، بروح الشاعر القاضي المشرع ، حيث يقول:[٣٧]

ومِن سُنَنِ اللهِّ التأنِّي بمَنْ طغَى وتعجيلُ عُقبى هفوة إدْ تواقعُ

ومنها انتقامٌ من ظلوم بظالم وهذا حسامٌ للمظالم قاطعُ

ألمْ ترَ أنَّ اللهّ سلَّطَ مشركا على مسلم والعدْلُ للكلِّ وازعُ ؟

فمَا الشَّأنُ إلاَّ العدْلُ في أيِّ حادث وإلاَّ خفيَّ اللطفِ للزيغ رادعُ

تَرَى سلطة لا تعرفُ اللهَّ أفظعَتْ بعارفةٍ والعدْلُ تلك الفظائع

فأنْتَ إذا فكَّرْت لم تَلْفَ دُرَّة من الظلم في شيء له اللهُّ صانع

إن شاعرنا يلتحم مع الآخر محاورا تارة بالأسلوب الخبري ، ثم بالأسلوب الإنشائي الاستفهامي تارة أخرى ، متناولا قيمة العدل، بوصفها قيمة إيجابية ، وقيمة الظم بوصفها قيمة سلبية ، وما يتصل بهاتين القيمتين من معاني الثواب والعقاب ، والانتقام الإلهي من الظالمين بالظالمين ، ثم تقدير قيمة العدل الإلهي المطلق.

وهو في ذلك كله يتأمل ويدعو الآخر إلى ألتأمل معه في هذه القيم، واستقراء الأحداث ومجريات الأمور بعين الاعتبار. إنها روح القاضي المشرع الذي استقى من الحنيفية السمحاء مجمل أفكاره في تناغمه مع الآخر، أيا كان .

كما نلفى في رؤى شاعرنا نصوصا إبداعية شاعرة تتناول الجانب التشريعي من خلال علماء الشريعة وأرباب الفقه الإسلامي ، غير أنني

---

(٢) الديوان ص ٢٦٤ .

أكتفي هنا بنموذجين من قصيده يرثي فيها القاضي (سالم بن أحمد الريامي)[٣٨]، معددا مناقبه بقوله:[٣٩]

ابيَ الضيمِ مصباحَ الدياجي كـــريمَ الخـــيم وهّـــابَ المِئـــين
عريضَ الجاه مبيضَ الايادي رَحيـــبَ الصـــدْر وضّـــاحَ الجبـــين
محيطَ العلمِ مِقصالَ القضايا عميـدَ الفضـل ذي الشـرف الرصـين

فههنا جملة من القيم الرواسخ التي تعد لازمة ضرورية من لوازم القاضي ، يرصده شاعرنا في شخصيته النموذج الذي ودع الحياة ولكن لا تزال قيمه حية بين الناس ، **أولها** : عزة النفس والإباء الذي يرفض الظلم، أي ظلم على الناس أو على نفسه ، **وثانيها** : كونه قوة حسنة وأسوة صالحة للأجيال ، **وثالثها** : الكرم والسخاء والعطاء عند المحن والشدائد، **ورابعها** : كرامة الحسب وعراقة النسب، **وخامسها**: رحابة الصدر وبشاشة اللقاء وعدم الفظاظة وغلظة القلب، **وسادسها**: غزارة العلم والمقدرة الفائقة على الفصل في القضايا المعروضة من المتخاصمين .

ونحن هنا أمام لوحة تشكيلية لصورة عالم قاض يمثل معلما من معالم الحضارة العربية المسلمة في شرق إفريقيا .

ولذا آثر الشاعر أو دفع إلى استعمال حسن التقسيم الموسيقي في كل شطر من البيت الشعري، راسما به حدود اللوحة التشكيلية، بحيث

---

(١) شيخ قاض، ولد عام ١٢٨٥هـ – ١٣٣٧هـ كان أحد قضاة شرق إفريقيا زمن السيد خليفة بن حارب، ودام في هذه الوظيفة إلى أن توفي ،وكان تحديدا قاضي الجزيرة الخضراء من أعمال زنجبار، ينظر : شقائق النعمان، ٣٠٧/٣ ، و جهينة الأخبار، ص ٣٤٨ ،والديوان ص ٣٤٦ .
(٢) الديوان ص ٣٤٩ .

أصبحت كل قيمة من قيم هذا القاضي دفقة إيقاعية واحدة على النحو التالي :

أبي الضيم = مصباح الدياجي ، كريم الخيم = وهاب المئين ، عريض الجاه = مبيض الأيادي ،رحيب الصدر = وضاح الجبين ، محيط العلم = مفصال القضايا، عميد الفضل = ذي الشرف الرصين .

كما آثر في الوقت نفسه استعمال صيغ المبالغة حتى تصل القيمة منتهاها في المعيارية، لتصفي عليها صبغة النبراسية للأجيال المسلمة من المعاصرين أو اللاحقين، (أبي، وهاب ، وضاح ، مفصال).

أما الأبيات الأخرى التي تتناول الجانب التشريعي في القاضي (سالم بن أحمد الريامي) فهي قول البهلاني:(٤٠)

ومسجدُكَ المنوّرُ إذْ تَعَرّى ... من التسبيح والذِكر المبين

بكى محرابُه القوّامُ فيه ... إذا جالَ الكَرَى بينَ الجفون

وحُقّ لَهُ البكاءُ وَقدْ تَرَدّى ... بأرْدِيةِ عُقيب النور جون(٤١)

ويا أسفاره نوحي عليه ... وقري للبلى وسط الخزين

بيانَ الشرع هل لك من بيانٍ ... بيانَ الشرع هلْ لك من قرين

ويا تمهيدَ سيدِنا الخليلي ... تَمَهّدْ أنْ تعيشَ بلا خدين(٤٢)

فإنّ العالِمَ المقباس أضحى ... لحيدا بين أحجارٍ وطين(٤٣)

يرصد شاعرنا في هذه الأبيات البعدين التشريعي والأعمال التعبدية الصالحة في القاضي الزنجباري ، وهنا يأتي التشخيص وسيلة تعبيرية توضح مقادر الأسى والحزن الذي خيم على الكائنات التي ارتبطت مكانيا بالقاضي الصالح،من هنا بكى المحراب القوام حزنا على

---

(١) الديوان ص ٣٥١ .
(٢) شيء جون: أسود فيه حمرة .
(٣) الخِدْنُ والخَدِين: الصديق .
(٤) المقباس : كثير العطاء العلمي .

فراق الأحبة العابدين المتهجدين القوامين، وحق له البكاء لأنه تسربل بأردية الظلام من بعد أردية الضياء، وناحت على القاضي مؤلفاته النيرات ،كما يأتي الاستفهام أسلوبا تعبيريا يحتوي مرارة الأسى لفقدان القاضي المشرع العالم الرصين (بيان الشرع هل لك من بيان..... هل لك من قرين؟) والتكرار اللفظي يعكس هول الفجيعة التي انتابت الشرع والتشريع ، لأن العالم المغوار صاحب الاستنباطات الموفقة الملهمة أضحى بين أحجار وطين .

البعد الثالث : العلم والعلماء :

بعد قيام الدولة البوسعيدية أضحت زنجبار منارة العلم التي ترنو إليها أفئدة العلماء، فهاجر إليها أعداد من العلماء، من عُمان وغيرها، واستقر مقامهم فيها، وشاركوا في نهضتها العلمية والفكرية، الأمر الذي عد فخرا لسكانها وقاطنيها.

" ويبدو أن ترحيب سلاطين زنجبار بهؤلاء العلماء، ومدهم بالعون والمؤازرة، والاعتماد عليهم في ترسيخ قدم الدولة وبسط نفوذها، شجع على الهجرة والاستيطان على الساحل الأفريقي، وكان من بينهم شاعرنا العالم الفقيه القاضي (أبو مسلم البهلاني) الذي تردد بين عمان وزنجبار" (٤٤).

---

(١) العمانيون ونشر الإسلام والثقافة العربية في شرق أفريقيا، زياد بن طالب المعولي (مدير معهد العلوم الشرعية) سلطنة عمان ، مقال منشور عبر شبكة الإنترنت موقع التراث (المعرفة والتعارف والاعتراف) http://www.tourath.org/ar/content/view/٢١٤٥/١

وكان منهم كذلك الشيخ (ناصر بن أبي نبهان)[٤٥] الذي انتقل بصحبة السلطان (سعيد بن سلطان) إلى شرق أفريقيا، وظل يتردد بين عمان وزنجبار فترة، إلا أنه استقر به المقام في عُمان

وللشيخ ناصر عدد من المؤلفات نذكر منها : (الحقُ اليقين) في العقيدة، ومنها كتابه (لطائِفُ المِنَن في أحكَامِ السُّنن) وقد بوب فيه الشيخ (الجامع الصغير) للإمام جلال الدين السيوطي.

ومنها كتابه في الطب : (السرُ الجلي في ذكر أسباب النبات السواحلي) حيث شرح فيه فوائد النبات والأشجار الموجودة بالساحل الأفريقي، وقارن أسماءها مع ما هو معروف منها في البلاد العربية ([٤٦]).

ومن بين علماء زنجبار الشيخ محمد بن علي المنذري[٤٧] وكان رئيسا للقضاء في عهد السلطانين (سعيد بن سلطان) وابنه (ماجد بن سعيد) وللمنذري هذا كتاب في العقيدة هو (الخلاصة الدامغة) وقد توفي عام ١٣١٤هـ/ ١٨٦٩م. وقد تولى ابنه الشيخ (علي) منصب قاضي

---

(١) ناصر بن أبي نبهان (١١٩٢ – ١٢٦٣ هـ = ١٧٨٨ – ١٨٤٧ م) من شيوخ العلم في سلطنة عمان ، له أخبار كثيرة مع السلطان سعيد بن سلطان ابن الإمام وغيره في أيامه. ولد في العليا وتوفى في زنجبار١٢٦٣ هـ . الأعلام للزركلي:٧ / ٣٥٠ ، وانظر : أحمد بن حمد الخليلي، العُمانيون وأثرهم في الجوانب العلمية، ص١٨١ ، ، المنتدى الأدبي، حصاد ندوة ١٩٩١ ـ ١٩٩٢م، وزارة التراث القومي، ١٩٩٢م.

(٢) العمانيون ونشر الإسلام والثقافة العربية في شرق أفريقيا، مرجع سابق .

(٣) هو محمد بن علي بن محمد بن علي المنذري، ولد في جزيرة زنجبار في أوائل القرن الثالث عشر الهجري ، وتوفي في مدينة ماليندي منها ، عاش في شرقي إفريقيا ودرس فيها علوم الدين واللغة العربية ، عمل رئيسًا للقضاء في عهد سعيد بن سلطان البوسعيدي، وماجد بن سعيد، وكان مرجعًا في الفتوى والأحكام.

زنجبار في عهد السيد (خليفة بن حارب) وله مؤلف في التربية هو "اختصار الأديان"[٤٨].

ومن علماء تلك المرحلة التأسيسية للنهضة العلمية والحضارة العربية المسلمة الشيخ (علي بن عبد الله المزروعي) الذي بزغ نجمه في عهد السلطان ماجد بن سعيد (١٨٥٦-١٨٧٠م) ، وتولى قضاء (مُمباسة) وكذلك ابنه الشيخ الأمين بن علي المزروعي، وللمزروعي الأب مؤلفات منها:مخطوطة "الدروع السابغة" والسبل الواضحة في شرح دلائل الخيرات. أما المزروعي الابن فهو قاضي قضاة كينيا.[٤٩]

وقد امتدت نهضة علمية لتعليم مبادئ الدين والقرآن الكريم قراءة وتجويدا في كل مدن الساحل وصولا إلى جزر القمر، حتى إن سكان مدينة مدغشقر كانوا يكتبون بالأحرف العربية قبل احتلال فرنسا لها[٥٠].

وقد انتشرت المدارس التي تعنى بتدريس علوم الدين على يد مشايخ عُمانيين وغيرهم من العرب الحضارمة، وكذلك بعض المسلمين من الهنود .

---

(١) عبد الله بن صالح الفارسي، البوسعيديون حكام زنجبار، ص٧٣ .
(٢) المزروعي (١٣٠٨ - ١٣٦٦ ه = ١٨٩١ - ١٩٤٧م) عبد الله (الأمين) بن علي بن عبد الله ابن نافع المزروعي: داعية إسلامي. من أهل ممباسة مولدا ووفاة. قرأ على بعض الفضلاء في زنجبار، ومال إلى الأدب ، وأصدر في بلده سنة ١٣٤٩ ه (١٩٣٠م) صحيفة باللغة السواحيلية الشائعة في شرقي إفريقية، وتكتب بالحروف اللاتينية، ثم جعل الصحيفة عربية سنة ١٣٥٠ ه (١٩٣٢م) وسماها " الإصلاح " وفتح مدرستين ساعده في الإنفاق عليهما بعض أهل الخير. وعين مدرسا في مدرسة الحكومة، ثم قاضيا لممباسة، فرئيسا للقضاء في كينيا. وصنف كتبا ورسائل وجلها بالسواحلية، منها كتاب " هداية الأطفال - ط " يدرس في مدارس شرقي إفريقية ومساجدها، و " تاريخ دولة المزارعة في شرق إفريقية من سنة ١١٦٨ إلى ١٢٥٠ " مهيأ للطبع ، انظر : الأعلام - خير الدين الزركلي - ج ٤ / ١٠٨ .
(٣) جهينة الأخبار، سعيد المغيري، ص٥٢٦.

ومن هنا يمكننا رصد هذا البعد من أبعاد الحضارة العربية المسلمة في شرق إفريقيا في ثلاث نقاط ، من الخلال النموذج الشعري الذي قدمه لنا أبو مسلم البهلاني، من حيث كلامه عن العلم ودوره في نهضة الأمم، ثم تناغمه مع العلماء في حياتهم وعند الممات، ثم تقريظه لبعض المؤلفات العلمية في زنجبار وغيرها، التي تم تأليفها بعقول عربية مسلمة ، وطبعت ونشرت في زنجبار .

وكان يوسف بن ناصر الخروصي من العلماء البارزين في عهد السلطان برغش بن سعيد، فقد هاجر إلى الشرق الأفريقي عام ١٣٠٠ه ـ، وكان قاضيا ومُفتِيا لزنجبار ومن مؤلفاته (لجامع لأركان الإسلام) .

وقد عُنِي بعض العلماء العُمانيين عناية خاصة بالتاريخ، كمثل الشيخ سعيد بن علي المغيري صاحب كتاب «جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار» الذي ولد في عُمان ثم ارتحل إلى زنجبار عام ١٣٠٠هـ وقد عينته الحكومة عضوا في المجلس التشريعي بزنجبار عام ١٣٥١هـ[٥١].

ومن العلماء البارزين في ساحة العلم، عالمنا وشاعرنا (أبو مسلم البهلاني) صاحب المصنفات العلمية المشهورة .

ومما يدلنا على فكر العلامة أبي مسلم في استيعابه لثقافة العصر ومعطياته تلك الرسالة التي بعث بها إلى الإمام سالم بن راشد الخروصي (حكم ١٣٣١- ١٣٣٨هـ) في عُمان بتاريخ ١٤ ربيع الثاني ١٣٣٣هـ ، وقد حملت من الأفكار ما تفصح عن بعد النظرة وعميق الفكر لما ينبغي أن تكون عليه الدولة ومؤسساتها.

---

(١) مقدمة الطبعة الأولى لكتاب جهينة الأخبار، ص١٣.

وقد أشار على الإمام أن ينشئ مطبعة لبيت المال، والضرورة القصوى لإنشاء المدارس وتزويدها بوائل التعليم والتعلم وأن يكون التعليم إجباريا ، ومما جاء في هذه الرسالة : " وأحثك سيدي على فتح المدارس العلمية في بلادك، وحث أهل الخير على التبرعات في سبيل هذا المشروع العظيم، فإنّ مصرك عُمان لم يسقط هذه السقطة العظيمة إلا من جهة الجهل، والجهلُ أمُّ المصائب في الدين الدنيا، وبوُدِّي لو ساعدني العلماء هناك على الرأي الذي أراه، وهو جواز جبر الأولاد على التعلُّم، وهي لعمري مصلحة عظيمة في الأمّة، ثم تجعل نفقة الفقراء منهم على بيت المال، ونفقة الأغنياء منهم على آبائهم، وهي طريقة سياسية دينية تدل لها أصول من الكتاب والسنة"[٥٢].

وإذا كان في نثر البهلاني ما يدل على سعة أفقه وإيمانه بالعلم في إعلاء شأن الأمم، فإن شعره يتضمن عددا من النصوص الدالة على هذه القيمة ذاتها ، من ذلك قوله:[٥٣]

مَزيَّةُ العلمِ أعلى نعمة رفعتْ عبدا ولولاه لم يذكر من ارتفعا

ما فوقَ مرتبةِ المختار مرتبةٌ ولا وساعةٌ تسمو فوق ما وسعا[٥٤]

وكلُّ علمٍ لمخلوق تقدَّمَهُ أو سوف يعقُبه من بحره نبعا

وكل ذرةِ نورٍ أو مقامِ هدى فمن مشارق نور المصطفى طلعا

وكل ذلك والقرآنُ يأمره قل رب زدنيَ علما فوق ما جمعا

---

(١) أبو مسلم الرواحي حسان عُمان، ص٢٠٣. د.محمد صالح ناصر، سلطنة عُمان، ١٩٩٦م، ، وانظر : العمانيون ونشر الإسلام والثقافة العربية في شرق أفريقيا، زياد بن طالب المعولي (مرجع سابق) .

(٢) ديوان أبي مسلم ص ٢٩٢ .

(٣) وسُع، بالضم، وساعة، فهو وَسِيعٌ.

لأن للعلم شأنا كل مرتبة وكل شان رفيع دونه اتضعا[٥٥]

والنفس قابلة للازدياد فلا تضيق عنه اتساعا كيفما اتسعا

فالعلم من المنظور الشعري هنا منقبة من المناقب بل هي أعلى قيمة ومكانة من كل القيم الأخرى، ومن هنا رأينا أبا مسلم يؤثر استعمال كلمة (نعمة) لأنها ترفع العباد، ولاحظ كيف قرن في صياغته الفنية بين هذه القيمة والعبودية لله تعالى، فالعلم والعبودية لله متلازمتان، (رفعت عبدا).

كما أن العلم مقرون بالنبوة، وبخاصة النبوة المحمدية ، ونلحظ هنا الإشارة إلى الحقيقة المحمدية أو النور المحمدي ، تلك التي ألح عليها المتصوفة في آدابهم .

ويتحدث شاعرنا عن طلب المزيد من العلم ، وأن يظل العالم يطلب العلم حتى انتهاء الآجال ، مضمنا التوجيه القرآني للنبي محمد (ﷺ) في قول الله تعالى: "وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْما"[٥٦].

ويزاوج الشاعر في رؤيته بين العلم والعمل، ويلح على الجانب التطبيقي للنظريات العلمية ، ووجوب التخلق بأخلاق العلماء ، إذ يقول:[٥٧]

فلْتطْلبِ العلِمَ للأعمال يخدمها كالسيفِ يحملُهُ للضربِ مَنْ شَجُعَا

ماذا تريدُ بعلمٍ لا يردُّكَ عن شَرٍّ ولسْتَ بِه للخيرِ مُتَّبعا ؟

---

(١) اتضع: دنت منزلته وانخفضت مكانته .
(٢) طه / ١١٤ .
(٣) الديوان ص ٢٩٢ .

ليس الحمارُ مِنَ الأسْفار يحمِلُهَا بغيـــر أثقالهـــا إيـــاه منتفعـــا

بئس المثالُ لمن أوْعَى العلومَ ولم تفـــده إلاَّ فـــلانٌ عـــالمٌ برعـــا

وإن طلبت به الدنيا فموبقة تقعـــــــــــــــــــــــــــا أحرى بها من خسيس الجهل أن

جرِّدْهُ من كلِّ شيءٍ لا يشاكِلُه ما أقبحَ العلمَ مهما قارنَ الطمعا

هي دعوة صريحة إلى العمل بالعلم، بمعنى الإلحاح على الجانب التطبيقي للعلوم ، ولذا يقدم النصيحة بأسلوب خبري يحض به على طلب العلم الذي يقوي جانب الأفعال ويوظف لخدمتها ، ثم يمتطي الاستفهام التوبيخي للمتلقي الذي يطلب علما لا يصلحه بل يفسده ، ولا يحميه ؛ بل يؤذيه ، والصورة التشخيصية (لا يردك عن شر) عاضدت الاستفهام في وظيفته التوبيخية الرادعة .

ثم يضمن شاعرنا المعاني القرآنية المستقاة من قول الله تعالى (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارا بِئْسَ مَثَلُ

الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[٥٨].

إن الشاعر يوظف مدلول الصورة القرآنية التي تحقر من قيمة الذين يحملون العلوم ولا يعملون بها ، ولا يفقهون قيمتها ووظيفتها لبني الإنسان.

---

(١) الجمعة / ٥.

ويزجر البهلاني طلاب العلم يريدون به الدنيا فقط، مسبغا عليهم صفة الجاهل الوضيع بأسلوب شرطي يحدث تلازما بين الفعل ونتيجته: (وإن طلبت به الدنيا ... البيت).

ثم يوظف الأمر ناصحا به المتلقي أن يجرد العلم من الأطماع والنزوات والشهوات وما شاكل ذلك ، ويذم العلم المقرون بالطمع بأسلوب التعجب الاصطلاحي (ما أفعل) ، ما أقبح العلم مهما قارن الطمعا.

وإذا كان شاعرنا من علماء شرق إفريقيا في زنجبار ، فإنه لا ينسى أساتذته ومشايخة الذين تتلمذ على يديهم، مشيدا بهم وبعطائهم العلمي للإنسانية كلها ، في قوله[٥٩]:

لله نخبة ابرارٍ فقدتهمو ... كانوا الامانَ فابقوا بعدهم قزَعا

كانوا البحارَ فابقوا بعدهم يَبَسا ... كانوا السحابَ فابقوا بعدهم قزَعا[٦٠]

صحبتُهمْ وغيوثَ العلمِ هاطلة ... وقارَقوني فضَنَ الغيث وانقطعا

اولئك القومَ مِلحَ الارض إنْ فسدتْ ... فاين همَ وفسادَ الارض قد قرعا

ما للمعارفِ مِنْ افلاكها نزلتْ ... والانَ حلتَ بطونَ الارض والتلعا ؟[٦١]

من لي بهم في زمان بعض موعده ... رفع العلوم وهذا العلم قد رفعا ؟

لعلك تشعر معي _ أيها القارئ _ بما يشعر به البهلاني نحو أشياخه وأساتذته من حزن وأسى على زمانهم وعطائهم في مجال العلوم والمعارف .

فإذا تأملت معجمه الشعري وقفت على مقدار حزنه ؛ فهم في منظوره الشعري : (نخبة أبرار – كانوا الأمان – كانوا البحار – كانوا

---

(١) الديوان ص ٢٩٣ .
(٢) قزع السحاب : القطع المتفرقة.
(٣) التلع : جمع تلعة ، والتلْعةُ: ما انهَبط من الأرض، وقيل: ما ارْتَفع، وهو من الأضْداد .

السحاب)، والمعجم المعتمد على التضاد الفني (الطباق) يؤازر الوظيفة المعجمية للألفاظ ، ويبين التضاد الفني المفارقة بين ما كان في عهد العلماء العظماء، وبين ما أصبح عليه الحال زمان شارعنا العالم البهلاني ، حيث طابق بين الألفاظ : (الأمان / فزعا – البحار / يبسا – السحاب / قزعا).

وجملة الصور الشعرية توضح مقدار عطاء مشايخ البهلاني فقد صورهم بالبحار في العطاء العلمي وغزارة العلوم والمعارف حال حياتهم ، وأعقابها بصورة الحياة التي تحولت إلى صحراء جرداء ، كما أردفها بصورة شكلها من المطر والجفاف، مبينا فيهما أيضا مقدار تأثيرهم العلمي في الحياة والأحياء .

مردفا على ما سبق بصورة أخرى تصورهم بملح الأرض الذي تصلح به الأطعمة وتفسد بدونه، من قبيل التشبيه التمثيلي، الذي وضح أيضا آثارهم العلمية للأوطان .

ثم ينهي شاعرنا دفقته الشعرية باستفهامين يتحسر بهما على زمن علمائه وصحبته إياهم ، وهو فيما نرى تحسر ممزوج بالذاتية ، أي يتحسر الشاعر على ماض كان، الذي يعد جزءا من هذا التاريخ الماضي وهو في عنفوان شبابه ؛وقد كان حاضره زاخرا أيضا بالعلم والعلماء وبالعلوم والمصنفات.

فقد تآلف البهلاني مع علماء عصره ، فأشاد بهم ومجد معطياتهم العلمية الزاخرة سواء الأحياء منهم والأموات عل النحو التالي :

الشخصية الأولى: العالم الفقيه محمد بن يوسف أطفيش[٦٢]

---

(١) أطفيش (١٢٣٦ - ١٣٣٢ هـ = ١٨٢٠ - ١٩١٤م)، هو: محمد بن يوسف بن عيسى أطفيش الحفصي العدوي (نسبة إلى أبى حفص عمر بن الخطاب ، إلى عدي بن كعب

ترك هذا العالم الجليل للمكتبة العربية أكثر من ثلاثمائة مؤلف، منها ما هو مطبوع ومنها ما زال مخطوطا، نذكر منها (تيسير التفسير - ط) سبعة أجزاء، و(هميان الزاد إلى دار المعاد - ط) أربعة عشر جزءا، في التفسير، و(الذهب الخالص - ط) في الدين وآدابه، و(نظم المغني - خ) أرجوزة في نحو خمسة آلاف بيت، و(شامل الأصل والفرع - ط) في علوم الشريعة، جزآن، و(تخليص العاني من ربقة جهل المثاني - خ) في البلاغة، و (وفاء الضمانة بأداء الأمانة - ط) في الحديث، ثلاثة أجزاء، و(جامع الشمل - ط) حديث، و (السيرة الجامعة - ط) في المعجزات .

و(شرح الدعائم) في الفقه، طبع منه جزآن، و (شرح عقيدة التوحيد - ط) و(إطالة الأجور في فضائل الشهور - ط) و(شرح أسماء الله الحسنى - ط) و(الغسول في أسماء الرسول - ط) و (ترتيب اللقط - ط) فقه، و (شرح النيل - ط) عشرة أجزاء كبيرة في الفقه، و (مختصر الوضع والحاشية - ط) في الفقه وأصول الدين، و(حي على الفلاح - خ) ستة أجزاء، حاشية على الإيضاح لعامر الشماخي، فقه، و (بيان البيان في علم البيان - خ) و(ربيع البديع - خ) في علم البديع، و (إيضاح الدليل إلى علم الخليل - خ) عروض، و(داعي العمل إلى يوم الأمل - خ) تفسير لم يكمل، و (شرح القلصادي - خ) و(إيضاح المنطق - خ) و (إزالة الاعتراض عن محقي آل إباض - ط) رسالة، و(رسالة في بعض تواريخ أهل وادي مزاب - ط) و (رسالة الإمكان - ط) و (الجنة في وصف الجنة

القرشي جد عمر)، الجزائري: علامة بالتفسير والفقه والأدب، إباضي المذهب، مجتهد، كان له أثر بارز في قضية بلاده السياسية يدل على وطنية صحيحة. مولده ووفاته في بلدة يسجن (من وادي ميزاب في الجزائر). الأعلام ، : لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى : ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين،الطبعة : الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م .

- ط) و(حاشية القناطر - خ) في علوم الدين، و (الرسم - خ) في قواعد الخط العربي. وله شعر في (ديوان - ط). (٦٣)

وفيه يقول البهلاني:(٦٤)

وارثُ الأنبياءِ عِلما وحُكما وسفيرٌ عنها إلى مَنْ عداها

أدْرَكَ الملَّة الحنيفية البَيـ ـضاءَ إذْ فُوَّضَتْ لَهُ شَكْوَاها

تتضنَّى مروعة تندبُ الأبرا رَ حُزْناً هَمَّالَةً مُقْلَتاها

فحماها وسامها وكذاك الـ أسْدُ تَحْمى عرينَها وحِماها

ردها مثل رد يوشع للشمـ ـس وقد غاب نورها وضياها(٦٥)

الرؤية الشعرية هنا تشيد بالعالم الجليل (أطفيش) بوصفه أحد معالم الحضارة العربية المسلمة ليس في الجزائر فقط، إنما في سائر البلاد الإسلامية، آخذا في الاعتبار أن هذا العالم بجهوده في علوم الشريعة الإسلامية يعد وارثا للأنبياء في العلم والحاكمية على حد سواء، وهو حلقة وصل بين الأنبياء في رسالتهم الوضاءة إلى الإنسانية كلها، وبين ربوع العالم .

---

(١) انظر : الأعلام للزركلي

(٢) الديوان ص ٣٧٩ .

(٣) يوشع : هو النبي يوشع بن نون عليه السلام، كما صَرَّحتْ به رواية الحاكم في (مستدركه) عن كعب، ودلت عليه رواية الإمام أحمد في (مسنده) بسند على شرط البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله (ﷺ)" :إن الشمس لم تُحْبَسْ لبَشَرٍ إلا ليوشع لَيَالِي سافَرَ إلى بيت المقدس . أحمد: ٢/ ٣٢٥ ، والحاكم : ٢/ ١٣٩.

والرؤية الشعرية هنا قد تشكلت من جملة وسائل تعبيرية متنوعة ، أبرزها التصوير الفني الذي اتكأ عليه الشاعر في التعبير عما تمر به عقيدة الإسلام من صراع شرس مع الحضارات الأخرى .

والتشخيص (الاستعارة المكنية) للعقيدة صورة توضح العلاقة الوطيدة بينها وبين هذا المسلم العالم الجليل : (فوضت له شكواها) ويستطرد الشاعر في صورته مجريا جملة من المشاعر الإنسانية تكتسي العقيدة: (تتضنى مروعة – تندب الأبرار حزنا – همالة مقلتاها).

وكان (أطفيش) في المنظور الشعري والتاريخي أيضا أسدا هصورا حين حمى حماه (وكذاك الأسد تحمي عرينها وحماها)، إنها صورة وظيفتها التأكيد على شجاعة عالمنا حين تصدى للآخر بشجاعة سجلها الفن والتاريخ معا.

ثم يأخذنا البهلاني إلى الجزائر وطن عالمنا المفضال ، ويتناول بعض جهوده العلمية ووصولها إلى شرق إفريقيا ثم طباعتها ونشرها في زنجبار ، إذ يقول:(٦٦)

عجبا أشرقتْ من الغرب شمسٌ فاتَتنا للشرق يسعى سناها
إنها آية وإنْ كان لابد عَ من العارفين من شرواها (٦٧)
درجاتُ الكمالِ والفضلِ لا تُحْـ ـصى وقد حاز شأنه أعلاها
تلكَ آثارُهُ له شاهِداتٌ إنَّه للعلوم قطبُ رحاها
طَلَعَتْ من جبالِ مصعبَ والزا بِ جبالٌ من علمه أرساها(٦٨)

---

(١) الديوان ص ٣٧٩ .
(٢) الشَّرْوَى : المثل .

ثم دارت بالأرض كالفَلَك الدَوْ وَار لا تحصـــر النُهـــى أقصـــاها

جاء تفسيرُه بمعجزةٍ قد بَهَـــرَتْ أهـــلَ الابتـــداع ســـطاها

يصور ذلك العالم بالشمس التي أشرقت من الغرب (الجزائ) فعم نورها الشرق الإسلامي (زنجبار) وشرق إفريقيا وغيرهما من بلاد العالم الإسلامي، وما آية ذلك سوى كتابه في التفسير، وقد تنوول بين أيدي المسلمين ممن هم على المذهب الإباضي وغيرهم من عامة المسلمين.

" ويعد كتاب هميان الزاد" لمحمد بن يوسف اطفيش (ت١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م) الذي صدر في ١٣ جزءا بين سنتي ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٨م ـ ١٣١٤هـ/ من أهم الكتب التي صدرت عن المطبعة السلطانية في زنجبار، ١٨٩٦م، وقد أرخ له أبو مسلم البهلاني شعرا.[٦٩] ونظرا لمكانة هذا العالم في القلوب، ولجهوده العلمية في المغرب والمشرق العربيين الإسلاميين، حين وافته المنية ، وانتقل إلى جوار ربه تعالى ، نجد كلمات شاعرنا تنديها الدموع ، وتلهبها مشاعره الأسيانة ، فنجده يجأر قائلا[٧٠] :

يا ناعيَ الدين هلْ أبْصرْتَ مَنْ بقيت فيـــه بَقِيَّـــةُ رشْـــدِ غيـــر منـــذهل ؟

غادرْتَ في أنفس الأكوان حشرجة فـإن قضـى الكـون فاستسـلم ولا تلـم

لا غرو إن فاضت الأكوان آسفة لفقـــد فـــرد علـــى الأكـــوان مشـــتمل

---

(١) يشير إلى مكان مولد أطفيش حيث ولد في بلدة" آت يسجن" إحدى قرى وادي ميزاب في الجزائر

(٢) انظر : ديوان البهلاني ص ٣٧٦ (التقديم للقصيدة التي مدح فيها محمد بن يوسف المغربي أطفيش وأرخ فيها لكتابه التفسير المسمى هميان الزاد الى دار المعاد المطبوع بزنجبار) .

(٣) الديوان ص ٣١٦ .

يا ناعي الغوث هل لاقيْتَ مِنْ خَلَفٍ مِمَّـنْ نَعَيْـتَ وَهَـلْ قـدَّرْتَ مِـنْ مَثَـلِ ؟

تنعى ابنَ يوسفَ فتحَ السالكين وخثْـ ـمَ الواصـلين مربـي الأنفـسِ الكُمَـل

محمدا مَدَدَ الأمْدَادِ روحهمو مـروِّع الـنفس إنْ يعمـلْ وإن يقـلِ

فالأبيات كما ترى زفرة ألم وأنات موجوع الفؤاد على فراق من أحب وأحبته الجموع المسلمة في شرق إفريقيا، لأن هذه البقعة من العالم كانت من أوائل المناطق إلماما وقراءة لفكر الفقيد وعطائه للإسلام عقيدة وشريعة ومنهجا.

الشخصية الثانية : نورالدين السالمي[٧١]

---

(١) نور الدين السالمي (١٢٨٤ – ١٣٣٢ هـ) هو نور الدين ، أبو محمد ، عبد الله بن حميد بن سلوم بن عبيد بن خلفان بن خميس السالمي (عليه رحمة الله) من بني ضبة . من قبيلة السوالم من سلطنة عمان، اشتهر بلقب (نور الدين السالمي). قرأ القرآن عند والده في بلدة (الحوقين)، وأخذ يتنقل بين قرى (قصرا) في الرستاق، والباطنة ثم الشرقية طلبا للعلم ، حتى نبغ في العلم ، وصار ينافس شيوخه في سعة العلم وعمق الفهم ، وقد قال شيخه راشد بن سيف اللمكي : أخذت العلم عن الشيخ ماجد بن خميس فصرت أوسع منه علما ، وأخذ عني العلم الشيخ عبد الله بن حميد فصار أوسع مني علما ، وقد بدأ التأليف وهو ابن عام ١٩سنة تقريباً عرف باجتهاده ،وتعدد مواهبه ، فهو مؤرخ، وفقيه وشاعر، ومصلح اجتماعي وسياسي وطني، وهو شاعر تقليدي الطابع، غلب على أغراض شعره الإخوانيات والغزل والوصف والهجاء والحكمة، وله قصائد ساخرة، وله أرجوزة في رحلته إلى الهند، صدر له عدد من المؤلفات التاريخية والأدبية .انظر : نهضة الأعيان بحرية عمان / تأليف ،أبي البشير محمد شيبه بن نور الدين عبد الله بن حميد السالمي مكتبة التراث (لم تذكر الطبعة ولا سنة الطبع). ص ٢ - ٣، وتحقيق. مشارق أنوار العقول، تأليف/إبراهيم بن ناصر الصوافي و أسعد بن حمود الصوافي ، و أحمد بن درويش السيابي ، و صالح بن سعيد المعمري ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م معهد العلوم الشرعية ، عمان، مسقط ص ١ – ٤ ، ومعارج الآمال على مدارج الكمال بنظم مختصر الخصال، للشيخ العلامة عبد الله بن حميد بن سلوم السالمي ، بتحقيق / محمد محمود إسماعيل ١/ص٣ وما بعدا (المقدمة) وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣م.

عالم من علماء عمان الأفاضل، وكان له تأثيره المباشر في الحضارة العربية المسلمة في شرق إفريقيا ، فقد ألف عددا من الكتب التي تدل على شخصية علمية رائدة ولها تأثيرها المباشر على المسلمين في عمان وشرق إفريقيا .

فقد كان الإمام نور الدين السالمي معنيا ومهموما بأمر إصلاح الأمة، إذ كان له " نشاط سياسي ملحوظ ، وقد ورث من أستاذيه اللذين تتلمذ على يديهما، وهما ماجد بن خميس العنزي (١٨٣٧– ١٩٤٧م) وصالح بن علي الحارثي تلك التقاليد النضالية للعلماء الإباضيين العظماء ، ممن عاصروا القرن التاسع عشر، كما لعب السالمي دورا في إعادة الإمامة سنة ١٩١٣م"(٧٢) وكان يقوم بتدريس العلوم، والإفتاء، كما أنه قد ألف كتبا في مجالات مختلفة .

ففي النحو والعروض له: شرح بلوغ الأمل في المفردات والجمل. (مطبوع)، المنهل الصافي في العروض والقوافي، أرجوزة في ثلاثمائة بيت. وله في التاريخ: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان. وغيره

وفي العقيدة نجد له : أنوار العقول ، أرجوزة في علم الكلام في ثلاثمائة بيت ، وبهجة الأنوار .

ولذا حينما مات هذا العالم الجليل، أخذ شاعرنا يقدم للمتلقي مآثره وأفضاله تلك التي قدمها للإسلام والمسلمين ، إذ يقول(٧٣):

ما الهولُ في يوم النشور أشدَّ من هـــول النعـــيِّ بســـيِّد الأبـــرار

---

(١) عمان تاريخا وعلماء ، أ.ف.سي ولكنسون، ترجمة محمد أمين عبد الله ، ص ٣٧ ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، ط الثالثة ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤ م .
(١) الديوان ص ٣٣٠ – ٣٣١ .

العالمِ القطبِ المجددِ عمدةِ الـــ ـــعلماءِ طـــرا كعبـــةِ الأســـرار

ليثِ المعاركِ مربع الفضلِ الذي رفـــعَ المنـــارَ ولاتَ حـــين منـــار

غوث البسيطة معلم الدنيا أبيـْ ـــي الضـــيم مولانـــا عزيـــز الجـــار

بحر المعارف والكمال مسدد الـــ أعمـــال فـــي الإقبـــال والإدبـــار

السالمي أبي محمد المنيـــ ـــف الذكر طود المجد بدر الساري

هذه رؤية شعرية معبرة عن مكانة العالم الجليل (السالمي) في قلب المسلمين والشاعر في مقدمتهم ، وحين يتساوى هول يوم النشور مع هول النعي الذي نعى للعالم رحيل هذا العالم الموسوعي الجليل فإنما ذلك دلالة ـ مع المبالغة في التعبير الشعري – عن مقدار الفجيعة واتساع مداها بين الربوع التي تلقت هذا الخبر المفجع .

ويجيء المعجم الشعري دالا على ملامح العالمية في السالمي، فقوله: (سيد الأبرار) دلالة على ملمح الصلاح والتقوى والنبراسية فيهما، وقوله : (العالم القطب المجدد) دلالة على النبوغ العلمي المؤثر في تشكيل الأمم وبناء الحضارات، وكلمة (المجدد) إشارة بالغة الأهمية في الكلام عن فكر العلامة (السالمي) إذ ارتباط العالم بعصره وبمعطياته مطلب إسلامي أصيل، إذ لا ينبغي أن يكتفي العلماء بفكر السلف الصالح في العصور الإسلامية الأول، ولكن عليهم معايشة عصرهم ومتابعة التطور الحضاري بما يخدم الإسلام وقضاياه، في شتى العلوم والمعارف .

وقول الشاعر ليث المعارك دلالة على أن السالمي كان وطنيا محبا لأمته المسلمة على وجه العموم، وكان مهموما بأمور المسلمين في وطنه الأم (عمان) وفي سائر الأوطان المسلمة .

وكان – رحمه الله - عظيم الهيبة لا ينطق أحد في مجلسه إلا أن يكون سائلا أو متعلما أو ذا حاجة جدية ، كثير التضرع إلى الله ، فتراه في بعض الأحيان في مجلسه أو في الطريق أوفي مصلاه ، وقد رفع يديه إلى السماء قائلا : لبيك اللهم لبيك ثم يبسط يديه ويقول : " اللهم اجمع الشمل ، وألف بين القلوب ، وأيد الكلمة ، وما شابه ذلك من ألوان الدعاء . وكان كثيرا ما يقول : اختبرنا الله فوجدنا كاذبين ، يتأوه كثيرا لما يراه في الناس من الاختلاف ، وعدم الجد فيما يعود على حياتهم بالسعادة ، ولما يراه من الفساد في البلاد ، فتراه قد قطع حديثه وتنفس الصعداء قائلا : ذهب الوفاء ، ذهب الدين ، ذهبت المروءة ، ذهبت الغيرة ، ذهبت الحمية ، طمع فينا الخصم ، طلبنا بالمكائد ، نصب لنا الحبائل فإنا لله وإنا له راجعون[٧٤]".

كما يمكننا رصد بعض جهود (السالمي) الحضارية العلمية والفكرية والسياسية ممزوجة بالهم الذي يحياه الشاعر (أبو مسلم البهلاني) من أمور جسام يستحضر فيها شخصية السالمي في بعض أبعادها ، حيث يقول الشاعر:[٧٥]

أدعوك للأمر الذي تُدْعَى له ... شـــيمُ الرجـــال وهمـــةُ الأحـــرار

أدعوك للخطِّ الذي أعيا على ... رأي الفحـــول وأنفـــذِ الأنظـــار

أدعوك إذْ فرغتْ يدِي من كلِّ مَنْ ... يـــدعى لنائبـــةٍ وحفـــظِ ذمـــار

أدعوك إنْ كنتَ السميعَ لدعوتي ... لخطابـــةِ التبشـــير والإنـــذار

أدعوك للحرب العَوان وكنتَ في ... لهواتهـــا تكفـــي كفـــاءَ الغـــار

---

(١) انظر : نهضة الأعيان ص(١١٩،١٢١) مرجع سابق

(١) الديوان ٣٣١ .

أدعوك للقرآن تكشفُ سره وتُبـــينُ منـــه غـــوامضَ الأســـرار

أدعوك للسنن المنيرةِ إنها اقتَـ ـــقرَتْ مقاصـــدُها إلـــى الأبصـــار

أدعوك للإجماع والأحكام وال أديـــــان والتـــــذكير والتـــــذكار

الأبيات هنا من قبيل استدعاء الشخصية في مواجهة القضايا المعاصرة، والواضح أن البيئة المحيطة بالشاعر تنتابها بعض الهموم التي جعلته يخاطب السالمي الفقيد بما يوحي بضخامة الحدث، فجاءت (شيم الرجال وهمة الأحرار) عنوانا على عدم استقرار المجتمع الزنجباري وما حوله في شرق إفريقيا، وفي الوقت نفسه باتت عنوانا على ملامح العلامة السالمي من حيث الحرية والشهامة والبسالة والإقدام .

وفي الأبيات دلالة على تمكن الفقيد من امتلاك ناصية الخطاب الديني والحضاري بمنهجه النبوي المحمدي المعتمد على ثنائية (التبشير والإنذار)، وهو تعبير جميل بأسلوب التضاد الفني (الطباق).

وفي الأبيات الثلاثة الأخيرة تنويه وإشادة بجهود السالمي في التفسير وفهم روح النص القرآني والوقوف على مراميه وغاياته، وكذلك جهوده في البيان النبوي الشريف والإجماع والاجتهاد وكلها علامات بارزة في شخصية العالم وتشكيل رؤيته الإسلامية للحياة والأحياء.

كما يشير البهلاني في رؤيته الشاعرة إلى سفرين من أسفار الرجل لا نشك في أن البهلاني وغيره من علماء زنجبار وشرق إفريقيا

قد قرؤوا الكتابين واعتمدوا عليهما في تنمية الزاد الثقافي والمعرفي لذواتهم ولغيرهم من جموع المتلقين، وذلك حيث يقول:[٧٦]

يا (طلعة الشمس) استري عنا الضيا وخذي الحداد (مشارقَ الأنوار)

سفران إن هديا لرشد ارشدا من فجعتي قلبي لغير وقار

يشير إلى كتابي (طلعة الشمس) و(مشارق الأنوار) للسالمي ، واعتد الشاعر على أسلوب التورية ، ذلك المحسن البديعي الذي يستعمل ويراد المعنى الثاني لا الأول المباشر، ياطلعة الشمس استري ، يراد به الكتاب المعروف للمؤلف ، وخذي الحداد مشارق الأنوار ، كذلك ، وهو يغاير الكناية لأنها (معنى المعنى).

الشخصية الثالثة : **الشيخ العلامة أحمد بن سعيد الخليلي**[٧٧] من علماء الأمة الذين قدموا جهودا طيبة في النهضة العربية المسلمة في العصر الحديث، فتناغم معهم شاعرنا البهلاني وفيه يقول[٧٨]:

وما بيدَ أحمدُ بَيْدَ امرئٍ ولكنْ نفوسَ الورى بائده

لقد كان يرجح ميزانه وذات الكمال به شاهده

يجلّي بأبلج ذي فرجة من العلم مشكلة عانده[٧٩]

---

(١) الديوان ص ٣٣٢ .

(١) الشيخ أحمد بن سعيد (١٢٨٠ هـ - ١٣٢٤ هـ) هو الشيخ العلامة الجليل أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي، من بلد سمائل من عمان. هو نجل الشيخ العلامة سعيد بن خلفان الخليلي،أحد العلماء الذين كان لهم أثرهم الواضح في النهضة العلمية في عمان وشرق إفريقيا . كان عليه مدار الفتوى والقضاء في وادي سمائل، بل أنه يعد أحد علماء عمان المشهورين بما تركه من فتاوي مبثوثة في الكتب ذات الصلة بالفقه والأصول . انظر :شقائق النعمان، ١٤٦/٣

(٢) الديوان ص ٣٤١ .

(٣) أبلج :واضح ظاهر

شـــــدادُ العـــوارضِ آراؤه إذا اعتزمـــــتْ خطـــــة ناهـــــده

فيا للمعارفِ حسن العزا لقـــد أصـــبحتْ ســـوقُها راكـــده

لقد كان نَيِّرَ أفلاكها فخـــــرَّ إلَـــــى حُفـــــرَةٍ رامـــــده

هذه رؤية شعرية توضح مكانة هذا العالم في القلوب ، والمكانة التي تبوأها إنما بسبب عالميته وإيمانه وتقواه ، يقيم العدل ويدرأ الظلم ، يوضح ما استشكل على الناس من الأحكام الفقهية والاستنباطية ، جريء في الحق ومناهضة الظالمين .

وقد آثر الشاعر في تبيان رؤيته أن يوظف وسائل تعبيرية متنوعة، إذ البيت الثاني كناية عن إقامته للعدل بالحق والقسطاس، وفي البيت الثالث يشخص المشكلات العلمية حين يسبغ عليها صفة المعاندة والاستعصاء، وفي الخامس يوظف النداء للتحسر على فقدان المعارف والعلوم لعالم جليل طالما بين المسائل ووضح المبهمات، وفي البيت الأخير يصور العالم الفقيد بالفلك المرتفع الدوار، ولنه هوى إلى حفرة يكسوها التراب، والمقابلة بين شطري البيت توضح المفارقة بين ما كان وما آلت إليه الأمور بعد فقدان العالم المغوار – عليه رحمة الله .

وهي رؤية شعرية تتناغم مع ما رصده التاريخ وسجله في دفاتره، إذ كان من أهم ما يتميز به هذا العالم المفضال هو أنه كان جريئا في قول الحق، لا يبالي أن يكون أمامَ جبَّارٍ أو طاغيةٍ، "و كان ورعا عفيفا نزيها، سهلا للمهتدي، شديدا على المعتدي، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ،

كما أنه قضى حياته كلها في طاعة الله ونصرة الحق ونشر العلم وإرشاد الناس، فقد خدم الإسلام بالنصح والإخلاص"[٨٠].

الأمر الذي جعل شاعرنا أبا مسلم يتوجع لفقد الشيخ، وأخذ مع توجعه وبث أحزانه يذكر محاسن الشيخ وآثاره البينات قائلا[٨١]:

فيا لهفَ نفسي عَلَى أحمد ... إذا نفعتْ لهفةُ الفاقدة

سلوتُ السلوَّ ورُشْدَ الأسى ... وأحمد أنفاسه خامدة

لقد زهدتْ نَفْسُه في الوجود ... فهل للحياة معا زاهدة ؟

تَعَبَّدَ حتى أتاه اليقينُ ... فذابتْ له الأنفسُ العابده

تحالفت الأرضُ في عمره ... وآرابه الزهر الساجده

فليت حليفة آرابه ... وقتله بلى التربة الرامده[٨٢]

يتحسر الشاعر بتوظيف النداء توظيفا مجازيا على فقد الشيخ ، ولكن ذلك كله لا يجدي ولا يفيد ، فقد ارتحل رحلته الأخيرة ، التي لا عودة بعدها إلى ربوع الحياة الدنيا، وقد كان الشيخ الفقيد زاهدا في الدنيا غير متكالب على متاعها الزائل ، عابدا لله حتى أتاه اليقين ، وهو صدى للمعنى القرآني في قول الله تعالى (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)[٨٣] .

ويؤثر الشاعر استعمال الصيغة المضعفة للفعل (تعبَّدَ) وهو تكثير للمعنى وقوة في الدلالة على المقصود الشعري .

---

(١) شقائق النعمان، ١٤٦/٣

(٣) الديوان ص ٣٤٤ .

(١)الآراب : جمع الأرْب وهو : الدَّهاءُ والفطنةُ والبَصَرُ بالأمور، والرامدة : المهلكة .

(٢) الحجر / ٩٩.

تقريظ الكتب[٨٤] :

لقد أحدث توافد المسلمين العرب للساحل الأفريقي نهضة علمية وثقافية كبرى، وقد عمل على نموها وازدهارها اهتمام أولى الأمر من السلاطين العُمانيين ومن في يدهم صنع القرار بنشر العلم، وتشجيع العلماء زاد في هذا الجانب حيث رسخ جذور اللغة العربية والثقافة الإسلامية .

ولعل من أبرز ما ينبغي الإشارة إليه في هذا السياق، إنشاء المطبعة السلطانية التي دفعت إلى قيام الصحافة العُمانية إبان حكم السيد برغش بن سعيد بن سلطان خلال الفترة من (١٢٨٧ــ١٣٠٦هـ) (١٨٧٠ــ ١٨٨٨م). ويذكر الشيخ سعيد المغيري صاحب كتاب «جهينة الأخبار» أن السيد برغش أنشأ مطبعة لطبع الكتب الدينية والأدبية قد طبعت عددا من كتب الفقه الإباضي كقاموس الشريعة، وهميان الزاد، ومختصر البسيوي[٨٥].

ونتيجة لوجود هذه المطبعة ازدهرت حركة التأليف والطباعة، كما ترتب على ذلك صناعة الصحافة إذ ظهرت دوريات عدة كصحف النجاح، والفلق، وجريدة زنجبار، وغيرها .

لقد عملت حركة التأليف والنشر على تقوية الأواصر بين مسلمي الساحل بغيرهم من إخوانهم المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي من جهة، وأكدت على ربط هذه الأواصر بحال إخوانهم من الأفارقة الذين نقلوا إليهم إسلامهم وثقافتهم .

---

(٣) التقريظ هو :أن يطلع أحد العلماء على الكتاب ويعجب به فيكتب له إشادة ويثني عليه .
(١) سعيد المغيري، جهينة الأخبار، ص٢٣٧، وانظر : العمانيون ونشر الإسلام والثقافة العربية في شرق أفريقيا، مرجع سابق .

ومن الكتب التي طبعت في زنجبار كما أسلفنا كتاب هميان الزاد[٨٦] في التفسير للعلامة محمد بن يوسف المغربي الميزابي أطفيش ، حيث يقول :[٨٧]

نَسَبْتَي للمديح فيك كما بنيي ... وبين النجوم وسط سماها

قد تبركتُ بالثناء على وجـ ... ـهك أبْغي بهِ مع الله جاها

فأجزني بدعوة تجمع الخيـ ... ـرات لي في الدنيا وفي عقباها

ظهرت منك في الوجود كراما ... ت رجوتُ الأمداد من جدواها

هل أتى النحلة الأباضية الغراء (م) إن أفلحت بدرك مناها[٨٨]

إذ أتاح التوفيقُ والقدرُ السا ... بقُ إرغامَ كلِّ منْ ناواها

بتمام التفسير طبعا على همْـ ... ـمَة أملاكها وأسد شراها

فدعتني هواتفُ الحق للتأ ... ريخ والبشر شامل إياها

قلتُ أرخ دوام جَدّ وبشر ... إن هميان الزاد طبعا تناهى

قيل فامدح زابا وزد قلت زابٌ ... علم الجهلَ ظلمة فجلاها

هذه الأبيات بدأها شاعرنا بطلب الدعاء من العلامة الفقيه الصالح محمد بن يوسف أطفيش، ويعلن فخره واعتزازه بمديحه والثناء عليه.

---

(٢) هميان الزاد" لقطب الأئمة محمد بن يوسف اطفيش (ت١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م) صدر في ١٣ جزءا بين سنتي ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٨م - ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م .

(٣) الديوان ص ٣٨٠ – ٣٨١ .

(١) النحلة الأباضية : يريد المذهب الأباضي ، المذهب السائد في عمان ، والمنتشر بين الأمازيغ في الشمال الإفريقي.

فهو الصالح صاحب الكرامات والفيوضات وليس أدل على ذلك من كتابه الناصع في تفسير القرآن الكريم، ويشيد به الشاعر لكونه ناصر المذهب الإباضي، وهو ذلك الخط الفكري الذي نلمحه كثيرا في أشعار أبي مسلم .

ثم يؤرخ للكتاب بالشعر كما هو عهد ذلك الزمان، وهي طبيعة العصر ونبراس الشعر في بدايات النهضة الأدبية الحديثة في عالمنا العربي .

ومن الكتب المطبوعة في زنجبار كتاب حاشية الترتيب[٨٩]، وفي تقريظه يقول البهلاني[٩٠]:

هلا أتتك عن السعادة خبرة ... وأتاك من فيض المعارف شاهدُ

بكمال طبع صحائف نبويَّة ... شرعية لهدى النفوس موارِدُ

تحلي حواشيها خرائد خلب ... لله من خلف الحجاب خرائدُ

توحي إلى الروع الهُدَى من نورها ... وهدى النبي هو الضياء الواقدُ

فيها لمقتبس العلوم مصابح ... ومعالم ومواقف ومقاصدُ

ومعارف ولطائف فيضية ... ومظاهر قدسيّة ومشاهدُ

تحيا القلوب بها وتهوى رشدها ... ولكل ما تهوى القلوب شواهدُ

زهراء تنثرُ جوهرا كلماته ... ومن العلوم نفائس وفرائدُ

حارَ ابنُ إبراهيمَ في ترتيبه ... شرفا له زُهْرُ النجومِ سَوَاجِدُ

---

(١) حاشية الترتيب؛ تأليف: أبي يعقوب يوسف إبراهيم الوارجلاني .
(٢) الديوان ص ٣٨١ .

يخاطب المتلقي بأسلوب يشوقه للانتباه إلى ما سيتلى عليه من تفاصيل كتاب جليل، لمؤلف فضيل في علوم الحديث النبوي الشريف: (هلا أتتك ... ؟)، والشاعر انطلاقا من صياغته الفنية (خبير – شاهد)، وهو المعجم الذي استعمله في البيت الأول، خبير بقيمة الكتاب ومحتواه التوضيحي، وشاهد على عظمة المؤلف ونبوغه العلمي، ولذا أسند الشاعر الى اللفظتين الفاعلية.

والبيت الثاني إشارة إلى الطباعة في زنجبار، ومتابعة الشاعر لمراحل طباعة الكتاب حتى اكتملت طباعته وخرج إلى حيز النشر والتأثير المعرفي والثقافي بين الجماهير العربية المسلمة : (بكمال طبع صحائف ...) ، والصفحات المطبوعة أفصح عن محتواها معجم يتصل بالحديث النبوي الشريف : (صحائف نبوية شرعية – الهدى – نورها – هدي النبي) .

والفوائد المرتقبة من هذا الكتاب لخصها الشاعر في كلمات كانت بمثابة ومضات فكرية إشارية مختزلة : فيها لمقتبس العلوم (مصابح – معالم – مواقف – مقاصد – معارف – لطائف – فيضية – مظاهر - قدسيّة - مشاهد) .

وأدت الصورة الشعرية دورها هنا ، ومنها تصوير كلمات الكتاب بالنجوم الزاهرة ، توضيحا شعريا لمكانة الكتاب ومؤلفه في ساحة العلم والعلماء . ثم يخاطب البهلاني المؤلف قائلا :[٩١]

أمحمد مهدت شرع محمدٍ نعم المهاد لنا ونعم الماهد

وبسطت حاشية ملأت وصابها درا وذاك الدر كنز خالد

ولقد توفرت السعادة وانجلى ال إقبال وانكمش العدو الحاسد

---

(١) الديوان ٣٨٢ .

وتألقت غرر البشائر حينما انـــ ـــتظمت لجوهرهـــا الثمـــين قلائـــد

بكمالها طبعا وكون كمالها فيـــــه لغايـــــات الكمـــــال معاقـــــد

وأتاك تأريخي ادرس الترتيب أو قمـــرا بـــدا للشـــرع فيـــه مقاصـــد

أو شئت برٌّ ظاهرٌ تاريخه أو قـــول حاشـــية الحـــديث فرائـــدّ

يشيد بالمصنف مستعملا همزة النداء للقريب (أمحمد) تدليلا على قرب المنادي من فؤاد الشاعر، ويمدح التوطئة العلمية لشريعة النبي محمد (ﷺ) التي وطأها العالم بمؤلفه، ويصور محتوى الكتاب بالدرر، ثم هو يؤرخ للكتاب كعادة شعراء زمانه.

ووضع التشريعات وتغذيتها بالعلوم التنظيرية جزء من تأسيس الحضارات الإنسانية في كل مكان، عبر التاريخ الإنساني قريبه وبعيده.

ولإيمان شاعرنا بهذه الحقيقة الحضارية نراه يستعمل أساليب شعرية تترجم عن رؤيته المتناغمة مع هذا العالم الجليل، من خلال مصنفه الرائد.

فقد استعمل الأسلوب الاصطلاحي في المدح (نعم) مرة للحدث المصدر (المهاد) ومرة أخرى لمن قام بالحدث، اسم الفاعل (الماهد)، ثم يصور الحواشي عن طريق الاستعارة بالدر، ويصف الدر بالديمومة والاستمرارية للأجيال المتعاقبة .

ثم تأتي الصورة التشخيصية الممتدة يشخص بها البشائر حين قلد الشاعر عنقها بدررة الثمينة، ومجوهراته الرصينة، وذلك في قوله : (وتألقت غرر البشائر حينما انـــ ـتظمت لجوهرها الثمين قلائد) .

تقريظ كتاب مختصر الخصال للعلامة نور الدين السالمي:

وكان من مؤلفات (السالمي) كتاب مختصر الخصال[٩٢] اطلع عليه العالم الشاعر (البهلاني) فكتب فيه تقريظا قال فيه :[٩٣]

إنَّ العلومَ كالنجوم كثرة فاعتنق الشمسَ وغادرْ زحلا
عليك بالشرع فلست عائذا بموئل أكنف منه موئلا
سدد وقارب واحتجز جوامعا منه فلن تحصره مفصلا
ودونك السفر الذي ترقى به (مدارج الكمال) مرقى موصلا
سحابة وطفاءُ إلا أنَّهُ يُمْطِرُ نورا ويَمُجُّ عسلا
نقطة نور صبها الوهب على أمداده قلبٌ مِنَ اللهِ انْجَلا
كان نثارا كالنجوم فانبرى لصوغه عقدا جمال النبلا[٩٤]
خبيئة الله لنصر دينه وحجة الله على من أبطلا
السالمي ابن حميد الذي قام لقيوم السماء فيصلا

بدأ الشاعر رؤيته بالكلام عن مكانة العلوم مصورا إياها بالنجوم رفعة في المنزلة وهداية للأنام، ثم يمجد علوم الشريعة على وجه الخصوص فهي في منظوره التصويري الشعري بمنزلة الشمس من كوكب زحل، ثم يشيد بكتاب (مدارج الكمال) الذي يرتقي بقارئه إلى المنازل العلى .

---

(١) مدارج الكمال بنظم مختصر الخصال"؛ لنور الدين السالِمِيّ (ت١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م)، طبعة سنة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م .
(٢) الديوان : ص ٣٨٣ .
(١) النُّثَارُ ، والنُّثَارَةُ : ما تنَاثَرَ من الشيء .

وتأتي جملة من الصور الشعرية تحتوي منزلة الكتاب ومؤلفه، فالكتاب سحابة عطاء إلا أن مطرها نور وضياء، صبها هذا العالم الجليل، وكان منها المداد الذي كتب به المصنف الرائع ،والصورة الأخرى تصور الكتاب بالنجوم المتناثرة في الفضاء، ثم جاء الشيخ ونظم من هذه النجوم عقدا فريدا .

والكتاب انتصار للدين الإسلامي عقيدة وشريعة ومنهجا، في مواجهة المبطلين المعاندين، وكان المؤلف العالم نور الدين السالمي فيصلا بين الحق والباطل، إن الباطل كان زهوقا .

تقريظ كتاب منهل الوراد:

ومن المؤلفات التي طبعت في زنجبار وكانت مظهرا من مظاهر الحضارة العربية المسلمة في شرق أفريقيا، كتاب المنهل، ومؤلفه ابن سميط العلوي[٩٥] كما جاء ذكره في تقدمة القصيدة، أو منهل الوراد كما هو في الواقع.[٩٦] وفي هذا يقول البهلاني[٩٧]:

مصدر الفضل أحمد بن أبي بكر شـــــريف الآبـــــاء والأجـــــداد

عَلويّ محمدي عليه مــن ســنا النســبتين ســيما الســداد

---

(١) أحمد بن أبي بكر بن سميط العلوي الحضرمي ، ولد في جزيرة انجزيجة من جزر القمر في أفريقيا في شهر رجب ، من الفقهاء العلماء عدة كتب منها (المنهل الوارد) وهو شرح بعض قصائد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد العلوي الحضرمي ، و (تحفة اللبيب في لامة الحبيب) وهي لامية الحداد المذكور بأعلاه و (الابتهاج في بيان اصطلاح المنهاج نشرته لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٦٠م) وغيرها، طبع المنهل الوارد منذ مائة عام في مكة المشرفة وأعيد طبعه حديثا في الجمهورية العربية السورية وتوفي هذا العالم في ١٣ شوال (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م) وكان قاضي زنجبار ومفتيها ، وكانت وفاته بها وله . انظر : جهينة الأخبار ، للمغيري: ٥٢٧ ، ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحالة : ١٧٦/١ .

(٢) منهل الوُرَّاد ، تأليف أحمد بن أبي بكر بن سميط العلوي، تم طبعه سنة ١٣١٣ ه/ ١٨٩٥م .

(٣) الديوان ص ٣٧٣ .

جَمَع العلم في مزاد من التق ... وى ولله جمـــــع ذاك المـــــزاد

قام بالشرع والحقيقة يدعو ... باللســـــانين للهـــدى والرشـــاد

جامع من ذخائر العلم والحك ... مـــة ذخـــرا يبقـــى ليـــوم المعـــاد

حاصر من معارف القوم ما يف ... تـــح للســـالكين بـــابَ المـــراد

ولعت بانتشاره مكة اللهّ ... لتســـري أنـــواره فـــي الـــبلاد

فأدارت عليهِ من فلك الطب ... ع نجـــوم التوفيـــق والإســـعاد

جاء تاريخ طبعه ضمن بيتٍ ... كـــان تاجـــا لمفـــرق الإنشـــاد

سلسبيل مزاجه زنجبيل ... فاشـــربوه (بمنهـــل الـــوراد)

يشير الشاعر إلى شرف نسب المؤلف بانتسابه إلى العتر العطرة المباركة: (علوي محمدي) وقد جمع العالم بين العلم والتقوى ، وهنا يبرز واضحا الأثر القرآني في الصيغة الشاعرة ، من قول الله تعالى : (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ)[٩٨].

ويبدو أن هذا العالم القاضي المفتي الفقيه كان يدعو إلى الله باللغتين، العربية والسواحيلية، وهو ما أستنتجه من قول الشاعر: (يدعو باللسانين للهدى والرشاد)، ويشير إلى أن هذا الكتاب كان قد طبع في مكة المكرمة: (ولعت بانتشاره مكة الله) .

---

(١) البقرة / ١٩٧ .

المبحث الثاني

أبعاد الحضارة الإسلامية

في دائرة الصراع من شعر أبي مسلم البهلاني

الصراع الحضاري في شرق إفريقيا يأتي ضمن حلقات الصراع بين أمم الغرب المسيحية وبين المسلمين في مناحي متفرقة من العالم .إذ " منذ ميلاد الدولة الإسلامية بذلت أمم الغرب المسيحية جهودا متواصلة لاستعمار بلاد المسلمين ، ونهب ثرواتهم وتأخيرهم وتحويلهم إلى المسيحية ، أو إبادتهم إذا أمكن ، بدأتها الدولة البيزنطية واستمر فيها الصليبيون ومن بعدهم المستعمرون .

أما بالنسبة لجهود أمم الغرب ضد مسلمي شرق أفريقيا فقد مرت تلك الجهود بمرحلتين :

الأولى: شغلت فيها أمم الغرب المسيحية بالصراع مع المسلمين في الشرق الأوسط الإسلامي ، ولم تسمح لها ظروفها إذ ذاك بالصراع مع مسلمي شرق أفريقيا ، فأثارت الحبشة المسيحية ، وحرضتها لتقوم بذلك الدور ضد المسلمين ، وأخذت ترسل إليها البعثات لتحرضها ولتعقد تحالفا معها . وتمتد تلك المرحلة منذ بدايات الإسلام حتى نجح البرتغاليون في ضرب مسلمي شرق أفريقيا في مقديشيو بالمدافع سنة ٩٠٣ ه / ١٤٩٨م ، ونهبوا سفن المسلمين في المحيط الهندي وأحرقوها بمن فيها من المسلمين .

أما المرحلة الثانية من الصراع فقد استمر فيها البرتغاليون ثم الإنجليز والألمان والفرنسيون والإيطاليون في استعمار شرق أفريقيا وحاربوا المسلمين حربا لا هوادة فيها ، ونهبوا ثرواتهم ، وأذلوهم وأخروهم ، وحاولوا تحويلهم إلى المسيحية[٩٩].

وتتعدد أبعاد الصراع الحضاري، فكان بعضها سياسيا عسكريا ، وكان بعضها الآخر قضائيا تشريعيا ، وكان بعضها علميا ، وبعضها كان صراعا عقديا ، وهي تلك الأبعاد التي يمكننا تناولها في شعر (أبي مسلم البهلاني) مع التعريج على المصادر التاريخية التي تناولت هذا الصراع بأبعاده المتنوعة.

أولا: البعد السياسي العسكري في مواجهة الاحتلال :

احتلت البرتغال الساحل الأفريقي مثلما جرى لعُمان وغيرها من السواحل العربية والإسلامية الأخرى وقد قاوم العُمانيون هذا المستعمر لبلادهم مدة تناهز المائة والخمسين عاما.

وتم طرد الاحتلال البرتغالي في ظل الدولة اليعربية ، وملاحقة فلولهم، وتم تصفيته حتى من الساحل الأفريقي. إذ تُعَدُّ الفترة الواقعة بين سنة ١٤٩٨م حتى سنة ١٧٣٠م فترة احتدام الصراع بين الغازي البرتغالي من جانب، وأئمة عُمان من جانب آخر، وذلك منذ وصول (فاسكو دي جاما) إلى (مُمْبَاسَا) عام ١٤٩٨م[١٠٠].

---

(١) انظر : انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ومناهضة الغرب له ، د / محمد عبد الله النقيرة ، ص ٢٩١ – ٢٩٢

(٢) عُمان والحضارة الإسلامية،، ص٢٨٦ فهمي جدعان وتوفيق مرعي: وزارة التربية والتعليم، سلطنة عُمان، ١٩٨٤م، وانظر : عمان بين الاستقلال والاحتلال ، د

وعندما عاد البرتغاليون واحتلوا شرق إفريقيا مرة أخرى ظلوا جاثمين على صدرها حتى عام (١٦٩٦م) تقريبا مما جعل إمام عمان يرسل حملة بحرية ثانية، وكان وصولها إيذانا بثورة عامة في شرق إفريقيا على طول ساحله، أبيد فيها البرتغاليون بأعداد كبيرة الأمر الذي أدى إلى تهيئة الفرصة لحكام عمان لتأسيس أمبراطورية عمانية أفريقية (١٠١)

ذلك أن أبناء شرق إفريقيا قد أرسلوا وفدا إلى عمان يستنجدون بالإمام ثاني أئمة الأسرة اليعربية، ويطلب إليه أن يقوم في جزر(ممباسا) و (زنجبار) و (باميا) ، وكان هذا الإمام حسن السيرة والسياسة ، محاربا للكفار في جميع الأقطار ، وعمل مراكب عظيمة في البحر ، وعظم جيشه، وقوي سلطانه حتى قيل : إن جيشه الذي دخل به الهند بلغ ستة وتسعين ألفا(١٠٢).

وفي واقع الأمر وحقيقته كان حكم البرتغاليين للسواحل الأفريقية فترة ظلام حالك وظلم جائر وتسلط غاشم وقد كان ديدنهم السياسي في فتح البلاد تدميرا بلا هوادة ولا رحمة، يعتمدون على مدافعهم الثقيلة وبعد مداها التدميري .

خالد ناصر الوسمي ص ٩٨ – ص ١٠٢ ، مؤسسة الشراع العربي ، الكويت ، ط أولى ١٩٩٣ م.

(١) انظر: السلطان سعيد والعلاقات العربية الإفريقية، دكتور/ محمد حسن العيدروس ص ١٣ ، دار المتنبي للطباعة والنشر، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، طبعة أولى (بدون) .

(٢) انظر السابق ص١١، وجهينة الأخبار : المغيري، ص ١٩٢، و تاريخ عُمان، وندل فيليبس ، ص٦٦، ترجمة محمد أمين عبد الله، وزارة التراث القومي، سلطنة عُمان، ١٩٨١م ، دولة اليعاربة ، عائشة علي اليسار، ، ص١١٩، مطابع دار الصحف الوحدة، أبو ظبي، ط٣، بدون تاريخ .

ولنصغي إلى ملك ممباسا ملك (مُمباسا) الذي شاهد مشاهدة العيان تدمير مدينته على يد البرتغاليين، فهو يرسم صورة معاناة شعبه في رسالة أسيانة بعث بها إلى جاره ملك (ماليندي) فيقول: "لم يكتف الغازي بقتل الرجال وحرقهم، بل أسقط الطيور في السماء"(١٠٣). لذا حق للشعر العربي تسجيل هذا الانتصار المؤزر على العدو الغاشم ، وفي هذا السياق التاريخي جاءت أبيات الشاعر بشير بن عامر الفزاري معبرة عن هذا الفتح بقوله:(١٠٤)

هَذَا هُوَ الفَتْحُ العَظِيمُ الأَزْهَرُ هَذَا هُوَ النَّصْرُ المبِينُ الأَكْبَرُ

فَالحَمْدُ للهِ الذِي نَصَرَ الوَرَى بِإمَامِ صِدْقٍ فَضْلُهُ لاَ يُنْكَرُ

عَدْلٌ أَبِيٌّ يَعْرُبِيٌّ خَاشِعٌ لِلـ ـهِ لا يَزْهُو وَلاَ يَتَكَبَّر

بَعَثَ الجُيُوشَ إِلَى النَّصارَى دُوَلا لَهُمْ بِالكُفْرِ كَانَتْ تَعْمُرُ
غَازِيا

إنها أنشودة النصر على معتد صليبي غاشم ، تنطلق الرؤية من منظور إسلامي يتوافق مع البواعث الإسلامية في جهاد المحتل من قبل الحاكم والمحكوم على حد سواء.ولأنها أنشودة النصر فقد سيطر عليها إيقاع راقص مبتهج ، تمثل في التساوي الزمني بين وحدات إيقاع الشطرين في البيت الأول على النحو التالي :

(هذا = هذا)، و (هو = هو)، (الفتح العظيم = النصر المبين)، و(الأزهر = الأكبر).

---

(١) تاريخ عُمان ، مصدر سابق، ص٤٨ .
(٢) راجع جهينة الأخبار ، سعيد بن علي المغيري، ص٢٠٣.

يضاف إلى تعبيرية الموسيقى في البيت الأول تعبيرية الصياغة الفنية حيث عرف ركني الإسناد في كل شطر (هذا هو الفتح، هذا هو النصر) ليفيد القصر والتأكيد.

ويطل علينا الإيقاع مرة أخرى حيث الترصيع بالتنوين (عَدْلٌ أبيٌّ يَعْرُبيٌّ خَاشِعٌ) حيث تعانق إيقاع التنوين مع إيقاع الوزن الشعري ليتضاعف جمال النغمة في نشيد النصر .

لأن الفتح العربي الإسلامي للساحل الأفريقي يعد بحق الرحمة التي أنقذت الساكنين من نير طغيان المعتدين ، الذين جثموا على الصدور فترة من الزمن.

كان ذلك في العصر الوسيط قبل زماننا في العصر الحديث ، وكان ينبغي الإشارة إليها على عجل بوصفها حلقة تمهيدية من حلقات الاحتلال الأجنبي ، ومرحلة من المراحل الاستعمارية ، تلك التي سبقت الاحتلال العسكري البريطاني .

حيث ترجع بداية الاستعمار البريطاني لزنجبار وشرق أفريقيا إلى عام ١٢٣٩ هجري-١٨٢٤م قبل نقل الإمام سعيد بن سلطان عاصمة الدولة من عمان إلى زنجبار ، وكان قد وصل إلى ممباسا القبطان (قيدال) مندوب الحكومة البريطانية ، وقدم وعوده المعسولة إذ وعد بتقديم المطالب السياسية إلى حكومة بومباي ، ومما يؤسف له أن قبيلة المزاريع قد سارعت في إعلان الولاء والانقياد تحت طاعة الإنجليز ، وقاموا برفع الرايات البريطانية على المباني الحكومية حتى بدون إذن من الحكومة البريطانية نفسها؛ مما أغرى الاحتلال وطمع في مزيد من الخنوع والطاعة ، وما دفعهم إلى ذلك خوفهم من السلطان (سعيد بن

سلطان) ، وكان نتيجة لذلك أن طلبت الحكومة البريطانية رسميا دخول (ممباسا) وسائر البلاد التي امتلكها المزارعة تحت الحماية البريطانية ، وأبرمت معاهدة بين الوالي المزروعي والإنجليز تقضي بجعل أمر السلطنة بيد المزارع ويكون وكيل الحامية إنجليزيا ، كما تقسم عشور الداخل إلى نصفين،بين المزارع والإنجليز، وتطلق اليد لرعايا الدولة الإنجليزية في الممالك الداخلية ، على أن يتم إلغاء تجارة الرقيق ، وبعد العامين ونصف تزحزحت القوات البريطانية على المنطقة(١٠٥).

على أن الصلات الوثيقة بين البريطانيين والسلاطين استمرت دون انقطاع ، وظلت بوارجهم البحرية تعلو أمواج المحيط الهندي ، وتجوب خبايا المنطقة ذهابا وإيابا، تحاول اكتشاف المنطقة وتفحص مكامن الفراغ ونقاط الضعف، ولعل بريطانيا كبلت أيدي السيد سعيد بن سلطان وطوقت عنقه بإبرام سلسلة من المعاهدات كان لها أثرها القوي بعد ذلك في إنهاء الوجود الإسلامي السياسي في هذه المنطقة ابتداء من معاهدة سبتمبر ١٨٢٨ ثم معاهدة ١٨٤٥م(١٠٦).

بدأت نقطة التحول في تاريخ زنجبار في ٤ نوفمبر ١٨٩٠ م عندما وضعت هي و بيمبا تحت الحماية الريطانية ، مما يعني ببساطة وضع حكومتها وإدارتها مستقبلا بين أيدي مسئولين بريطانيين ، رغم أن الجزيرتين ظلتا تحت حكم السلطان ، لكنه لم يعد مستقلا أو يتمتع بسلطات واسعة ، وإنما هو مجرد حاكم اسمي للجزيرتين ، ومن ثم

---

(١) جهينة الأخبار : المغيري، ص ٢٥٨.
(٢) السابق الموضع نفسه .

سقطت تماما في أيدي آخرين إمبراطورية شرقي أفريقيا المتسعة والطموحة التي أراد السيد سعيد بن سلطان بناءها[١٠٧].

وهكذا تكون بريطانيا قد حققت أهدافها وأخضعت سلطنة زنجبار لنفوذها متذرعة بمحاربة تجارة الرقيق باسم الإنسانية المعذبة ، وفي الوقت نفسه أخذت تعمل على تقسيم سلطنة عمان بقسميها الآسيوي والأفريقي ، حتى تتمكن من بسط نفوذها على زنجبار، فنجحت في تقسيم السلطنة بين عمان وزنجبار ، ووضع الأخيرة تحت حمايتها، كما أخذت تعمل للسيطرة على أفريقيا الشرقية عن طريق رحلات المكتشفين والمبشرين[١٠٨].

ولم تكن بريطانيا وحدها ذات الوجود والحضور العسكري والسياسي في زنجبار، بل تكالبت غيرها من الدول على هذه الجزيرة ، حيث كانت الولايات المتحدة الأمريكية سباقة إلى أرض زنجبار ، فعقدت اتفاقية مع حكام عمان من أجل إطلاق يدها في زنجبار ، قال المغيري- في تأكيد هذا المعنى -:"أن نفوذ أمريكا كان هو المتسلط في زنجبار أثناء السنين التي أعقبت وصول السيد سعيد.[١٠٩]

كما كان الوجود الألماني متجذرا بكل ثقله الديني والسياسي والثقافي في (تنجنيقا البر حيث كانت مستعمرة ألمانية) وبعد انحصار الدور الألماني وخسارته في الحرب العالمية خرجت ألمانيا من هذه

---

(١) انظر : عمان وشرق أفريقيا ، د/ أحمد محمود المعمري ، ترجمة محمد أمين عبد الله ، ص ١٣، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٩٨٠ م .
(٢) انظر : العلاقات العمانية البريطانية في القرن التاسع عشر، د / إسماعيل أحمد ياغي ، ص ١٣٤ ، القاهرة (د.ت) .
(٣) جهينة الأخبار : المغيري ص ٢٥٩ وما بعدها.

المستعمرات لتحل محلها بريطانيا ، فكانت زنجبار وتنجنيقا[١١٠] وكينيا، وأوغندا كلها مستعمرات بريطانية ، ولكن رغم هذا فإن بريطانيا كان لها قنصل مقيم في زنجبار ، وكانت زنجبار تابعة لوزارة الخارجية البريطانية، وفي عام ١٩١٣ اتبعت لوزارة المستعمرات وعين لقب المعتمد والمقيم بدل لقب القنصل[١١١].

أما الإنجليز فقد كان لهم تخطيط أعمق وأخطر لمنع انتشار الثقافة الإسلامية في الجزيرة وما حولها من البلاد . أول ما عملوه هو تهميش المسلمين في الإدارة الوسيطة التي كانت جسرا بين الشعب والإدارة الاستعمارية ، واستخدام الهنود مكانهم ، حتى لا يكون للمسلمين أيّ نفوذ سياسي ولا نصيب في قرارات اجتماعية في البلد . والذي فعلوه ثانيا هو منع الإفريقيين من العمل في مزارع القرنفل والنارجيل ، هؤلاء العمال كانوا يأتون من تنجانيقا ليعملوا فيها ، وكثيرا ما كانوا يتأثرون بالعرب فيسلمون . فمنعهم الإنجليز بدعوى محاربة تجارة الرقيق حتى يتم كبح انتشار الإسلام بين الإفريقيين.[١١٢]

ومن هنا ثار شاعرنا البهلاني في وجه الضغوط الحضارية هذه ، وأخذ يبين للجماهير العربية المسلمة الخطر الجاثم على الصدور، في دفقات شعرية حارقة صاعقة . ومن قذائفه الشاعرة قوله مبينا فظائع الاحتلال:[١١٣]

قدِ استباحوا حُرُمَات دينكم ومنعوا الأرضَ الحياةَ والحيا

---

(١) تنزانيا اليوم .
(٢) نفس المرجع : ص ٢٥٢.
(٣) انظر : العلاقات العربية الإفريقية : دراسات تاريخية للآثار السلبية للاستعمار ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ص ٦٥ - ٧٢ .
(٤) الديوان ص ٢٧٩ .

تحكَّمــوا فــي مُلْكِكُــم ورزقكــم وكَبَسُوا البئـرَ وقطَّعوا الرِّشـا[١١٤]

منّــوا علــيكم بغــذاءِ طِفْلِكُــمْ وحَسْـوَةِ المـاءِ ونَفْحَـةِ الصـبا[١١٥]

وأزعجــوكم عــن ظِــلالِ ريفِكُــمْ وليــتَكم لَــنْ تُزْعَجُــوا عــن الفــلا

وضــايقوكم فــي بــلاد ربكــم حتـى عَلَـى مَـدْفَنِ مَيْـتٍ فـي الثَّـرَى

لا يرقْبـونَ فـيكم إلاً وَلاَ ذِمَّـةَ دِيـنٍ (م) أو ذمــــــامَ مَــــــنْ رَعَــــــى

قــد سُــفِكَتْ دمــاؤكم وانْتُهِكَــتْ حُــــرْمَتُكُمْ ولا حَشَــــا ولا خَــــلاَ

يسلط الشاعر بؤرة عدسته الشعرية على الانتهاكات الإنسانية التي يرتكبها الاحتلال في حق العرب والمسلمين عموما ، حيث انتهك المحتل حرمات الدين وحرمات الوطن.

والطلقات الشعرية الثائرة في وجه الاحتلال تتمحور حول النقاط التالية :

١ـ انتهاك حرمات الأديان ، وحرمة الإنسان والأوطان .

٢ـ نهب الأملاك والاستحواذ على الأرزاق وتدمير البنية الأساسية .

٣ـ محاولة إذلال الشعوب المحتلة والتضييق عليهم بمنعهم أسباب الحياة .

٤ـ اتساع الرقعة المكانية للمحتل ، وانتشاره وتوغله في البلاد المدن والأرياف والصحاري ، حتى المشاركة في مدافن الموتى .

---

(١) الرشاء : أي الرشاء ، وهو الحبل الذي يربط به الدلو للحصول على الماء من البئر .

(٢) الحسوة من الماء : الغَرْفَةُ ، قال اللحياني: حَسْوَة وحُسْوة وغَرْفة وغُرْفة بمعنى واحد ، اللسان : مادة (ح س و) .

٥ـ ممارسة الظلم والجور والجبروت بلا رحمة ولا شفقة ، لا يراعون عهدا ولا ذمة .

٦ـ الممارسة الوحشية في القتل والتدمير والإهلاك .

واستعمال الشاعر لصيغة الطلب بزيادة الألف والسين والتاء في الفعل (استباح) إدانة في قالب الأسلوب الخبري لمآثم الاحتلال ، والجناس بين (الحياة – الحيا) جميل في أدائه التعبيري ،إذ هو تعبير دال على المزاوجة الإجرامية التي يرتكبها المحتل على المستويين الإنساني والمكاني ، حيث منعوا أصحاب الأرض والوطن حق الحياة وأسبابها ، ورمز لأسباب الحياة بالمطر (الحيا).

ويا لها من صورة شعرية بدوية رائعة في التشكيل والتعبير معا ، في قوله : (كبسوا البئر وقطعوا الرشا) صورة تؤازر التعبيرات السابقة في توضيح المعنى (قتل الحياة وأسبابها) .

إن الشاعر يستمد عناصر صورته من مخيلته التي ترتبط بصورة مباشرة بالحياة العربية القديمة، التي تنم عن انتمائه العربي الأصيل ، كاشفة عن جذور هذا الانتماء في المعجم اللفظي الذي تكونت منه الصورة ، متمثلا ذلك في قوله : (البئر، والرشا، وحسوة الماء، ونفحة الصبا... إلى آخره) إلى جانب ما يعكسه المعجم نفسه لنا ـ نحن المتلقين ـ آفات المحتل: (استباحوا منعوا ـ تحكموا ـ منوا ـ أزعجوا ـ ضايقوا ...إلخ).

ويصر الشاعر في تعبيره عن أهوال المحتل الغاشم أن يسترفد الأسلوب القرآني يعاضد به رؤيته المناضلة ، من أجل الإسلام والمسلمين ، في قوله : (لا يرقبون فيكم إلا ولا ذمة دين)، اقتباسا للمعنى القرآني في قول الله تعالى : (كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُوا

فِيكُمْ إِلاً وَلاَ ذِمَّـة يُرْضُـونَكُمْ بـأَفْوَاهِهِمْ وَتَـأْبَى قُلُـوبُهُمْ وَأَكْثَـرُهُمْ فَاسِقُونَ) وقولـــه تعالـــى : (لاَ يَرْقُبُـونَ فِـي مُـؤْمِنٍ إِلاً وَلاَ ذِمَّـة وَأُولَئِـكَ هُـمُ الْمُعْتَدُونَ)[١١٦].

وفي هذا تناغم إيجابي بين الروح العربية الأصيلة، وبين العقيدة الإسلامية النقية، إلى جانب ما يبديه الشاعر في رؤيته الشعرية الثائرة، منطلقا من خلال البواعث الإسلامية، لأن بواعث الاحتلال نفسه كانت بواعث صليبية.

ففي شرق أفريقيا يمكن أن تسمى هذه الحروب حروب صليبية ؛ لأن المحاربين المشتركين فيها حبسوا أنفسهم عن شعور وقصد أنهم يحاربون لمد حدود المسيحية أو الذود عن حياضها[١١٧].

من هنا ألح شاعرنا هو الآخر على فريضة الجهاد، داعيا الجماهير إلى حمل السلاح للجهاد ضد الاحتلال ، حلا وحيدا لدحره عن البلاد فيقول[١١٨]:

أيـن بنـو الإسـلام مـا يُعْجِزُنـا ؟ والعِـزَّةُ الكَـرَّ بحَوْمَـاتِ الـوَغَى

أيـن بنـو القـرآن ؟ هـل ثَـبَّطَكُمْ كتـابُكُمْ عَـنِ الجِهـادِ لِلْعِـدَى ؟

أيـن عَطـاريفُ الجـلاد بـالظبى؟ أيــن مشــائيم الطعــان بالقنــا ؟

أيـن بنـو التوحيـد لـو صَـدَقْتُمْ توحيدكم ما رقص الشرك على ؟

أين بنـو الأحرار، مـا سكونكم؟ والمُلْـــكُ والـــدينُ حَريـــبٌ والحـــــــــــــرى[١١٩]

---

(١) التوبة الآيتان : ٨ ، ١٠ .
(٢) جهينة الأخبار : (المغيري) ص ١١٤
(٣) الديوان ٢٨١ .
(٤) الحريب : من سلب ماله كله ، والحرى : النقصان

الأبيات كلها سؤال يبحث عن لون متميز من المسلمين ، أولئك الذين آمنوا بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبحمد نبيا ورسولا ، وهي المعالم التي تنبئ عن هوية المؤمنين الموحدين الذين عضوا بنواجذهم على الإسلام شريعة و ومنهجا .

والصياغة الفنية تعرب عن فنة مخصوصة من المسلمين الموجه إليهم الخطاب،: (أين بنو الإسلام) هذا التركيب الإضافي دال على نموذج رباه الإسلام وصاغ شخصيته، من بات سلوكهم يعرب عن شخصيتهم الإسلامية، هم من الإسلام وإليه، عشيرة واحدة، وفصيلة واحدة ، ليسوا كسائر المسلمين الناطقين بالشهادتين ، فقد كان بإمكانه أن يقول مثلا: (أين هم المسلمون ما يعجزنا) مع استقامة الوزن الشعري ، ولكن التركيب الإضافي الذي استعمله الشاعر يظل له دلالته الخاصة من حيث الوظيفة التعبيرية ، فالمسلمون شيء وبنو الإسلام شيء آخر. ويجيء استفهامه: (ما يعجزنا ؟) توبيخ للذين تقاعسوا عن داعي الجهاد ، بينما جاء الشطر الثاني أسلوب خبري يعاضد الاستفهام في وظيفته . وما قيل عن الوظيفة التعبيرية عن التركيب الإضافي السابق (بنو الإسلام) يقال مثله عن سائر التراكيب الإضافية الأخرى (بنو القرآن) ، (غطاريف الجلاد)، (بنو التوحيد)، (بنو الأحرار).

وشاعرنا البهلاني يبحث في المكان عن الإنسان ، وإذا كان المكان ذا هوية إسلامية فإن الإنسان المرتقب هو صاحب الهوية نفسها ، من هنا جاء الاستفهام متكررا بأداة البحث في المكان (أين؟).

وإذا كان (البهلاني) في صراعه الحضاري مع الآخر حث الإنسان على مواجهة العدوان، وممارسة شعيرة الجهاد التي أصبحت فرض عين

على كل قادر مستطيع ، فإنه أيضا تناول عدة القتال، رامزا لها بالسيف في زمن المدافع والبارود فيقول[١٢٠]:

كم نظلمُ السيفَ بمنع حقّه ... أمَا يُجَازى ظالمٌ بما جنى ؟

إنَّ السيوفَ طُبعَتْ لحقها ... وحقُّها تحكيمُها على الطُّلَى[١٢١]

والسيفُ شهمٌ لا يفيت حقه ... أصدق من جَدَّ وأكفى من كفى

والسيف حر لا يقر خازيا ... يصول إن ضِيمَ وإن صال اشتفى

والسيف لا يرضى الذليل صاحبا ... إن الذليل بالشنار مكتوى[١٢٢]

والسيف جلاءُ المخازي آخذ ... بضبع من يكرمه إلى العلى[١٢٣]

والسيف مفتاحٌ إذا تضايقتْ ... على الهمام الحرِّ آراءُ النهى

والسيف كالصدق من الرجالِ ما ... هَزَزْتَهُ لخطةٍ إلاَّ مضى

الأبيات المختارة من مقصورة (البهلاني) تتناول أدوات القتال ووظائفها من حيث الجهاد والمقاومة والدفاع عن الأوطان ، من خلال تركيزه الشعري على السيف هذا الذي طالما استعمله العربي في تاريخه الطويل ، دفاعا عن القبيلة ومكانتها قبل الإسلام ، ثم الدفاع عن الأمة وقضاياها بعد الإسلام .

---

(١) الديوان ٢٨٠ .
(٢) الطُّلَى : الأعناق ، ومفردها : الطَّلاةُ .
(٣) الشَّنارُ : العيبُ والعارُ .
(٤) الضَّبع : العضد كلها ، والجمع أضباعٌ .

ولكن حين يهمل السيف ولا يستعمل في وظائفه المصنوع من أجلها يكون العار كل العار على من أهمل السلاح ولم يردع به ظلم الظالمين.

وأبعاد السيف انطلاقا من الملفوظ الشعري هنا تتنوع : فهو ردع للظالمين المعتدين الجائرين المنتهكين حققوق الآخر ظلما وعدوانا ، وهو شهامة صادقة، ورجولة ناصعة، وإقدام شجاع ، وهو حرية مصونة تثور من أجل كرامتها ، وصونا لشرف إنسانيتها ، وهو عز لا يرضى بالذل ويدرأ الهوان ، وهو عدل وإنصاف لا يرضى المخازي ، وهو مفتاح النصر للشجاع صاحب العقل المفكر والرأي المدبر ، والسيف مثل الرجل الصادق تبدو مصداقيته حين يجرب في المواقف ، وتظهر مروءته حينما تختبره الشدائد .

وإذا كانت هذه أبعاد السيف في المنظور الشعري وفي السياق التاريخي أيضا، فإن الأبعاد نفسها كائنة في الفرسان والمقاتلين المهرة ، حينما يدافعون عن أوطانهم .

والشاعر من خلال أدواته التعبيرية يسلط اللوم على المتقاعسين عن داعي الجهاد، فقد استعمل (كم) الخبرية زجرا للمتخاذلين عن دواعي القتال : (كم نظلم السيف بمنع حقه) ثم يأتي الاستفهام يحض به المتلقين على وجوب إعمال السيف في رقاب الظالمين المعتدين : (أما يجازى ظالم بما جنى؟).

وجاءت الصور الشعرية تصنع بروازا لبسالة المقاتل من خلال تصوير عدته في القتال، والصور التشبيهية المعتمدة على قلب التشبيه أدت دورها التعبيري الشعري في السياق الفني : (والسيف كالصدق -

والسيف حر - والسيف لايرضى الذليل صاحبا - والسيف جلاء المخازي - والسيف مفتاح - والسيف شهم).

والقارئ الكريم يلاحظ إطلالة وجه الشاعر العربي القدير أبى تمام ، في ميميته التي ظاهر بها المعتصم في انتصاراته التاريخية على الروم البيزنطيين ، تلك الدرة التي جاء مطلعها :

السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب[١٢٤]

هذا ولم ينحصر الصراع الحضاري في شعر البهلاني على زنجبار وشرق أفريقيا فحسب ، إنما انطلق في صراعه الحضاري ضد الآخر حيث وصل شعره إلى مصر في قضاياها - هي الأخرى - في صراعها التاريخي مع المحتل الإنجليزي وبعض عملائه في الداخل المصري ، ولنتوقف معه فارسا مغوارا أثناء المؤتمر المصري ورياض باشا .

المؤتمر المصري :

عندما اغتال (إبراهيم الورداني)[١٢٥] رئيس الوزراء (بطرس باشا غالي) في ٢٠ من شهر فبراير سنة ١٩١٠م) ثارت فتنة ضارية بين المسلمين والأقباط ، وعندما قبض عليه تبين من التحقيقات أنه وطني مصري عمره ٢٥ سنة ، ولا ينتمي إلى جماعة بعينها[١٢٦]، وبعد القبض

---

(١) ديوان أبي تمام ، شرح الخطيب التبريزي ، تحقيق : محمد عبده عزام ١/ ٤٠ ، ط دار المعارف مصر .

(٢) هو إبراهيم ناصيف الورداني كان قد سافر إلى أوروبا سنة ١٩٠٦م ، بعد أن أكمل دروسه الابتدائية في المدارس الحرة بمصر ، فقضى في لوزان بسويسرا عامين ، ثم توجه إلى انجلترا في مارس ١٩٠٨م ، وحصل على شهادة في العلوم الكيماوية والتاريخ الطبيعي ، ثم عاد إلى مصر سنة ١٩٠٩م ، وفتح صيدلية في شارع عابدين تحت اسم (صيدلية الورداني) حمكم الورداني وأوقعت عليه المحكمة عقوبة الإعدام شنقا في ١٨ مايو ١٩١٠م . انظر : المقطم عدد ٢١ / ٢ / ١٩١٠م ، وعدد ١٩ / ٥ / ١٩١٠م.

(١) جريدة المقطم ، عدد ٢١ / ٢ / ١٩١٠م .

عليه اعترف الوردانى بجريمته ، وأن الدوافع التي دفعته لاغتيال بطرس غالي تتمثل فيما يلي :

أولها: اتفاقية السودان ، **ثانيها**: رئاسة محكمة دنشواي ، **ثالثها**: إعادة قانون المطبوعات، **رابعها**: معاكسته للجمعية العمومية ورضاؤه عن مشروع مد امتيازات القناة، **خامسها**: محاربته للوطنية المصرية.[١٢٧] وقد أدى الإعلام المقروء وقتها دورا خطيرا في تأجيج الفتنة بين المسلمين والأقباط[١٢٨]. فمع أن القاتل أكد أن قتله كان بسبب موالاته للاحتلال، غير أن بعضا من الأقباط اتخذوها سببا وجيها لإثارة الفتنة ، ادعاء بأن بطرس غالي قصد بالاغتيال لأنه مسيحي، وبذلت جهود مضنية لوأد الفتنة[١٢٩].

ومضي الأقباط في الدعوة لعقد مؤتمر أسموه (المؤتمر القبطي) في أسيوط، الغرض منه تحديد مطالبهم ، ومضت صحيفتان قبطيتان هما : (الوطن) و (مصر) في الدعوة للمؤتمر الذي تمت إقامته في٦ ـ ٨ مارس١٩١١، واختيرت لجنة لتنظيم الدعوة للمؤتمر وتحديد غايته تشكلت من (بشري بك حنا) رئيسا، و (جورجي بك ويصا) و (بسطورس خياط) وكيلين، و (سينوت بك حنا) أمينا للصندوق، و (توفيق بك دوس سكرتيرا)[١٣٠].

---

(٢) الجريدة ٢١ / ٢ / ١٩١٠م .
(٣) راجع المقطم ٢٣ فبراير ١٩١٠ ، والجريدة ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ / فبراير ١٩١٠م .
(٤) الفتنة الأولي..بقلم : د. رفعت السعيد الأهرام عدد يوم السبت ١٤ من شوال ١٤٣٠ هـ ـ ٣ أكتوبر ٢٠٠٩م ، العدد رقم ٤٤٨٦١باب : آراء حرة .
(١) المرجع السابق ، وانظر : مذكرات عن بعض حوادث الماضي قليني فهمي باشا ـ ص١٠٨.

التهبت المواقف وازداد الصخب هنا وهناك الأمر الذي دفع هذه اللجنة إلي أن تصدر بيانا ، ينص على أن الغرض من الجمعية العمومية للأقباط هو إزالة الفوارق العديدة الموجودة الآن بين العناصر المكونة للمجموع المصري ، بواسطة تعد مبدأ المساواة والعدالة المطلقة بين هذه العناصر في جميع حقوقهم وواجباتهم الوطنية ليكونوا كلهم مصريين قبل كل شيء [١٣١].

وتحدد جدول أعمال المؤتمر أو كما اسمي الجمعية العمومية بنقاط محددة أهمها: جاءت قائمة المطالب القبطية تستند إلى قاعدة المساواة في المواطنة ، وشملت خمسة بنود على سبيل الحصر هي المساواة في احترام يوم الراحة الدينية (الأحد)، والركون إلى الكفاءة دون سواها في إسناد الوظائف العامة دون نظر إلى أي اعتبار آخر، ووجود ممثلين للأقباط في المجالس النيابية، وحق الأقباط في إلحاق أبنائهم بالمعاهد الأولية (الكتاتيب) أسوة بأبناء المسلمين، ولاسيما أن الأقباط يدفعون خمسة في المائة ضريبة على العقارات لتنفق منها مجالس المديريات على هذه الكتاتيب. وأخيرا أن تنفق الحكومة – دون تفرقة – على جميع المرافق المصرية وهو ما يعنى أن تنفق الحكومة على المؤسسات المسيحية كما تتولى الإنفاق على المؤسسات الإسلامية[١٣٢].

وبعد ذلك بفترة زمنية قصيرة عقد مؤتمر آخر دعا إليه المسلمون. ورفضوا تسميته بالمؤتمر الإسلامي، وإنما تأكيدا للوحدة أسموه المؤتمر المصري ، واختاروا لرئاسة المؤتمر شخصية معتدلة تسعي لتحقيق وحدة وطنية منشودة ، هو (مصطفي رياض باشا)، وقاد المؤتمر عدد من الشخصيات الرائدة التي ترفض أي تمييز بسبب الدين، مثل أحمد

---

(٢) راجع سينون حنا ، د. رمزي ميخائيل - - ص٣٠

(٣) انظر: تذكار المؤتمر القبطي الأول ، توفيق حبيب ، ص٨٥ - ٨٧ ،القاهرة : مطبعة الأخبار، دد.ت.

لطفي السيد وعبد العزيز فهمي[١٣٣]، وعند ذلك هب أمير الشعراء (أحمد شوقي) صارخا في وجه الفتنة العمياء، مخاطبا الأقباط المصريين بقوله:[١٣٤]

بَني القِبطِ إخوانَ الدُهور رُوَيدَكُم هَبوهُ يَسوعا في البَريَّةِ ثانِيا

حَمَلتُم لِحِكمِ اللهِ صَلبَ اِبنِ مَريَمٍ وَهَذا قضاءُ اللهِ قد غالَ غالِيا

وَوَاللهِ أو لَم يُطلِق النارَ مُطلِقٌ عَلَيهِ لأودى فُجأة أو تَداويا

وهي قصيدة طويلة تفاعل فيها شوقي مع الأحداث السياسية ، ومع الفتنة الطائفية بين المسلمين والأقباط ، بروح السياسي المحنك ، والدبلوماسي الواعي بمجريات الأمور من حوله ، وأرجوا أن تتاح لي الفرصة مرة أخرى لموازنة نقدية بينها وبين قصيدة البهلاني في هذا السياق التاريخي . أما قصيدة البهلاني التي جاءت في إطار صراعه الحضاري في بعده السياسي والعسكري ، والتي كان هذا المؤتمر المصري محورها ، فقد بدأها هو الآخر بخطاب شعري مع الأقباط بقوله[١٣٥]:

يا قطِينَ النيلِ ما حادثة باتَ جَفْنُ الدين منها في سَهَر؟

أقْلَقَتْ مصرَ وغاظَتْ غَيْرَها خُطةُ القِبط وذاك المؤتمر

يا لَقومي والأسى كل الأسى إن جرى النيل على هذا القدر

---

(١) راجع : الأقباط والقومية العربية ـ أبو سيف يوسف ، ص١١١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٧ م .

(٢) الشوقيات الأعمال الشعرية الكاملة / أحمد شوقي ، المجلد الثاني، الجزء الرابع/ ص٥٥ ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٨ م ، وديوان شوقي، تحقيق .

(٣) الديوان ٢٨٨ . دكتور أحمد محمد الحوفي ٥٩١/٢ ، نهضة مصر الفجالة، القاهرة، ١٩٨١م .

ضـايقوكم فـي المراعـي مطلقـا واشــرأبَّوا لاختصــاصٍ واشــر[١٣٦]

طلبــوا أعظــمَ مــن مقــدارهم شــأن مــن اكســبه العــدلُ البَطــرْ

أمـــة قوميّـــة لـــيسَ لهـــا فـــي السياســـات حـــقٌّ يُعْتَبَـــرْ

ليـت شـعري مـا الـذي أبْطـرَهُم ضغطة (الرومـان) ؟ أم عدْلُ (عُمَرْ)؟

أم وصـايا المصـطفى فـي حقهـم إن ملكنـــاهم وسِـــعْنَاهم ببـــرْ؟

يتوجه الشاعر بخطابه الشعري إلى أهل مصر مستهلا ذلك بقولـه: " يا قطين النيل" كاشفا عن معنى النيل في مخيلته الشعرية، والذي يعد رمـزا للتـاريخ المصـري العريـق، والحضـارة العظيمـة علـى امتـداد ذلـك التاريخ، تلك التي أفرزها المصريون على ضفتي النهر، فنهر النيل عند الأفارقـة والعـرب يعـد رمـزا للحضـارة والاسـتقرار، ووحـدة المصـريين وقوتهم.

وفـي الوقـت نفسـه يتسـاءل الشـاعر عـن حقيقـة الحـوادث الأخيـرة، تلـك التـي مـن شـأنها إزعـاج الواقـع السياسـي المصـري، وعرقلـة جهـود التنمية والسلام والوفاق الوطني، بين سائر المصريين.

ثم يلقي باللائمة على الأقباط، وكيف انصـاعوا للدسـائس وانجرفـوا إلى الفتنـة الطائفية، مذكرا بالتاريخ القديم، عندما كـان الرومـان يسـومون الأقباط في مصر كل ألـوان الكبـت والاضـطهاد ، ولـم ينقـذهم مـن الرومـان إلا عدل عمر، على يد عمرو بن العاص، بعد فتحه مصر .

---

(١) اشْرَأبَّ إليه ، وله ، اشْرِئْباباً ، وشُرَئْبِيبَة : مدَّ عُنقه ، أو ارتفع لينظر.

ويثبت التاريخ أن أقباط مصر تعرضوا إلى أقصى أنوا ع الاضطهاد والتعذيب الوحشي على أيدي أباطرة الرومان منذ بداية القرن الأول الميلادي ، حتى عام ٦٤١م ، أي إلى بداية الحكم الإسلامي لمصر .

وقد استخدم الأباطرة مع أقباط مصر كافة ألوان التعذيب الوحشية ، من حرق وجلد وصلب ، وسلخ ونشر ورجم وتقطيع أعضاء وتهشيم أسنان ، والإلقاء إلى الوحوش المفترسة . وبعد أن كان الأباطرة يعمدون إلى قتل الأفراد أخذوا يبيدون قرى بل مدنا بأكملها ، حتى وصل عدد شهدائهم مئات الآلاف.(١٣٧)

ويجب أن نذكر هنا أيضا أن أقباط مصر تعاونوا مع الفتح الإسلامي ضد الرومان ، إذ يسجل التاريخ أنه " كان بنيامين بطريرك القبط الشرعي (الذي هرب من اضطهاد بطريرك بيزنطة من الإسكندرية إلى إحدى قرى الصعيد) قد أصدر تعليماته بمساعدة عمرو على قهر الروم الطغاة ، وقد صدر هذا الأمر إلى كل أقباط مصر"(١٣٨).

وبعد أن كان الشاعر منفعلا متصارعا ، عاد بأسلوب مترفق يحاور الأقباط بقوله(١٣٩):

يا بني الأقباطِ تلكُم مِصْرُنَا ... أنتم البنكُ ونحن المقتهر

إن هذا النيل أمّ حافل ... كلنا يَرْضَعُ منها وَيَذر

فغدتْ حَافِلُنا ترْضَعُها ... حيّة أشبهُ شيْءٍ بسَقَرْ

---

(١) انظر : قصة فتح مصر من القبطية إلى الإسلام ، حامد سليمان ، ص ٢٢ وما بعدها ، المكتب العربي للمعارف ،القاهرة ، ١٩٨٨م ، وانظر :عندما دخلت مصر في دين الله ، د / محمد عمارة ، ص ١٤ ومابعدها ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٧م .
(٢) قصة فتح مصر من القبطية إلى الإسلام ، ص ٥٦ .
(٣) السابق ٢٨٩ .

رَضَـــعَتْهَا لبَنَـــا ثُـــمَّ دمـــا واغتبطنـــا بمشـــاش وَوَبـــر

وهْـــيَ لا يُقْنِعُهَـــا مـــا ترتمـــي لا ولا يقنعهـــا بَلْـــعُ الحَجَـــرْ

نِيلنـا فـي الغـرب يجـري ذَهَبـا وبقينـــا نَتَرَامَـــى فـــي الْحُفَـــرْ

يذكرهم أن مصر وطن واحد ونيل واحد للجميع ، وتسعفه الصور الشعرية ليعبر بها عن تصوير مصر في حواره مع القبط ، حيث صور النيل بأم ترضع كل الأبناء ، لا تفرق بين ابن وآخر ، وهي صورة جميلة في سياقها الفني، شكلها من الاستعارة التصريحية العضوية .

وتأتي بقية الصور توضح أن خيرات مصر لم تعد للمصريين كما كانت فيما مضى، ولكنها للمحتل البغيض ، ومن هنا جاءت الصورة الشعرية الاستعارية أيضا دالة على بشاعة الدال والمدلول في آن واحد (فغدت حافلنا ترضعها حيّة أشبه شيء بسقر). ثم نصحهم بعدم الاستقواء بالجيش البريطاني المستعمر بقوله:(١٤٠)

إنْ يكن جَيْشُ احْتِلاَلٍ غَرّكُمْ فَهْـــيْ أمْنِيّـــةُ مَـــن لا يَفْتَكِـــرْ

ما يُريدُ الجيشُ باستقلالكم بعـــدما ألقـــى عصـــاه واســـتقر؟

عقد النَّيرَ وما في هِمّتِه آمَـــنَ المصـــريّ يومـــا أم كفـــر

فهو ينصحهم أن لا يركنوا إلى المحتل البريطاني ، فهو لا يعنيه الانفصال أو الحكم الذاتي للأقباط لأن جيش الاحتلال مستقر متمكن ، وليس في حاجة إلى مساعدتهم. وإن أطماع المستعمر في موارد البلاد وإذلال العباد، ولا يعنيه بعد ذلك كفر ولا إيمان .

---

(١) الديوان ص ٢٩٩ .

ونظرا للدور التاريخي السياسي الحكيم الذي قام به (رياض باشا) رئيس المؤتمر المصري، في تقريب وجهات النظر، لم يفت شاعرنا أن يسجل إعجابه بهذه الشخصية المتزنة الوطنية فيقول مادحا رياض باشا[١٤١]:

صاحبَ العِزِّ رياض مَنْ غَدَتْ فِطْـرَةُ التَّوْحِيـدِ مِنْـهُ فـي وَزَر
هضبة الفضلَ عزيز المحتمى شـانه العـدل بمـا سـاء وسـر
جرد الغيرةَ من أجفانها فحمـى الحـق وأخـزى مـن غـدر
عصم النحلة مرهوب السطى لـين الجانـب صـعب المنكسـر
يا حميّ الأنف يا ليث الشرى ذد عـن الحـوض فقـد جـد الحـذر
لا تدع مصر لمن يعثو بها غيـر مـا عـزك مـن أمـر القـدر
قائم أنت على أرجائها بمـلاك الأمـر والحـق الأغـر

فالشاعر في الأبيات المتفاعلة مع رياض باشا يخاطبه بالخطاب الدبلوماسي الرسمي (صاحب العزة) والصورة المرسومة له تجعله غي مصاف القيادات المصرية الرشيدة حينذاك ، فهو من حمو فطرة التوحيد ، ومن أقام العدل بخيره وشره متجردا من النوازع والأهواء، وهو من ناصر الحق والحقيقة ودرأ غدر الغادرين وأحبط فتنة المتآمرين ، وأفسد مكر الماكرين.

---

(١) الديوان ص ٢٩٠ .

ثـم يرجـوه الشـاعر أن لا يتـرك مصـر للعـابثين بأمنهـا المهـددين لحاضرها ومستقبلها، فهو أهل أن يكون من أولياء أمرها الساهرين على سلامتها وأمنها.

والتصوير الفني يعاضد الشاعر في تعبيره عن رؤيته الشاعرة في صراعه السياسي والعسكري، كقولـه (جرد الغيرة من أجفانهـا) و(ليث الشرى) يصـور بهمـا شـجاعته فـي الحـق وغيرتـه علـى العدل والحـق ، ويعبر بالكناية عن العزة: (حمي الأنف).

ثانيا: الصراع الحضاري في بعده العلمي:

كـان الهـدف الـرئيس لنظـام الدراسـة فـي المسـتعمرات هـو تـدريب الأفارقة من أجل مساعدة الإدارة المحلية في المستويات الدنيا، ومن أجل توفيرا الموظفين للشركات الرأسمالية الخاصة التي يملكها الأوروبيون.

ويعني هذا ، في الواقع ، انتقـاء عدد قليل من الأفارقـة للمشـاركة في الهيمنـة على القارة ككل واستغلالها ، ولم يكن نظاما تعليميـا نبـع مـن البيئـة الأفريقيـة أو نظامـا تـم تصـميمه لتنشيط الاستخدام الأرشد للمـواد المادية والاجتماعية ، كمـا لـم يكـن نظامـا تعليميـا وضـع لإعطـاء الشـباب الثقة والاعتداد بالنفس بوصفهم أعضاء في مجتمعات أفريقية ، وإنما كان نظاما يسعى إلى غرس الشعور بالإذعـان فـي مواجهـة أوروبـا تحـت هيمنـة الطبقـة الرأسـمالية، وتـم نقـل هـذه النزعـة الطبقيـة ذاتهـا إلـى أفريقيـا بشـكل تلقائي .

كمـا أن تضـمين عمليـة التعليـم الاسـتعماري للعنصـرية والتبجح الثقـافي اللتـين تضـمرهما الرأسـمالية قـد زاد الوضـع سـوءا، فقـد كانـت

الثقافة المدرسية عبارة عن تعليم من أجل الإخضاع، والاستغلال، وخلق التشويش الذهني، وتنمية التخلف.(١٤٢)

ومن يطالع شعر البهلاني لا يجده بمنأى عن هذا الصراع بل كان الرجل على المستوى الفكري والثقافي في قلب الحدث.

وعلى كل تستطيع تلمس هذا الصراع حينما يشيد بالقائمين على إنشاء المدارس ورعايتها ووضع مناهجها التي تحافظ على هوية الأمة، وتعمل على تثبيت شخصيتها في مواجهة التيارات الوافدة، من علمانية تبناها الاحتلال أو غيرها من التيارات. فهو يشيد بمن أسسوا مدرسة من الوطنيين الغيورين على الوطن وهويته بقوله:(١٤٣)

أسستمُ لعلومِ الدينِ مدرســـــة كهالة الشمــس أنوارا ومنتفعــا

ضمّتْ شــبيبة اطهارٌ نفوسُــهمُ أصْفَى مِنَ الدّرِّ بالأصْدافِ مُلْتَفِعَــا

تَعّطّشوا لاكتسابِ العلمِ إذ فُهِمُوا كونَ الجهالةِ فِي حكمِ الحِجَى شَنَعَا

مُشَــمِّرينَ ذُيولَ الجــدِّ هَمّهُــمُ أن يعبدوا اللهّ بالوجْهِ الذي شَرَعَا

أوْحَتْ إليهــم عقولٌ غيرُ قاصرةٍ ضــرورةَ العلــمِ فانقادوا لها تَبَعَا

على نشــاطٍ وعزمٍ لا يعارضــه معــــارضٌ فكأنّ البحْــرَ مندفعــا

واضــح مــن خــلال الرؤيــة الشــعرية أن المدرســة كانــت مدرســة إسلامية ، تعنى بعلوم الدين واللغة ، ونفهم ذلك من خلال قوله: (علوم الدين)، ويرى أن الفائدة المرجوة من هذه المدرسة عظيمة الجدوى

---

(١) أوروبا والتخلف في أفريقيا ص ٣١٥ ، دوالتر رودني ، ترجمة د أحمد القصير ، مراجعة د إبراهيم عثمان ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٨م.
(٢) الديوان ص ٢٩٤.

وجليلة القدر والمنفعة ، وهو المدلول المنعكس من خلال الصورة الشعرية المشكلة من التشبيه: (كهالة الشمس أنوارا ومنتفعا) .

ووصف طلاب المدرسة بالعفة والنقاء والطهارة ، والصورة التي استعمل فيها التفضيل والمشابهة رفعت نقاء نفوسهم فوق مستوى الدر والأصداف المحيطة به: (أصفى من الدر بالأصداف ملتفعا).

ويصور حاجة الطلاب للعلو والمعرفة بالعطشانين إلى الماء من شدة الظمأ، ويعلل ذلك بكونهم أدركوا أن الجهل مضيعة للعقول وإهدار لوظيفتها في الإنسان.

والصورة الشعرية والكناية تعبران عن النشاط والجد لدى طلاب العلم في المدرسة لتحصيل العلم والمعارف الإسلامية، حتى يعبدوا الله حق عبادته، ويصف أساتذتهم ومشايخهم بأنهم أصحاب عقول راجحة حين أرشدت الطلاب إلى قيمة العلم والحاجة الضرورية إليه لبني الإسلام.

ويكر روح الجد والصبر والمثابرة في تحصيل العلم ، وإجماع أهل الفضل على تشجيع هذه الروح واستمراريتها في طلب العلم ، وتسعفه الصورة الشعرية بتصوير هذه الحالة - في عزمها ونشاطها - بأمواج البحر المندفع: (فكأن البحر مندفع).

ويبدو لنا اهتمام البهلاني بقضية التعليم على مستوى المدارس والعلماء والطلاب معا، رد فعل طبيعي لموقف المستعمر من تعليم الأفريقي على وجه العموم ، إذ " يجمع معظم المهتمين بالشؤون الأفريقية أن المستعمرين والمنصرين لم يهتموا بالتعليم في أفريقيا إلا بالقدر الذي يمكنهم من استنزافها وتنصير أهلها ، بل كان الأوروبيون

العنصريون يعارضون بشكل مطلق وجود المدارس سواء أكانت مسيحية أو مستقلة أو حكومية أو إسلامية ، وكانوا ينطلقون من موقف عنصري ، ويزعمون أن تقديم التعليم للأفارقة أشبه بإلقاء اللؤلؤ أمام خنزير"[١٤٤].

ولذا يستمر شاعرنا في شحذ الهمم ويزف البشرى لطلاب العلم منطلقا من المنظور الإسلامي في العلم والعالمية بقوله:[١٤٥]

بشراكم يا وعاةَ العلمِ إنّ لكم ... يوما سيرجِعُ فيه الجهْلُ مُنْهَزِعَا[١٤٦]

وتَسْعَدون بألبابٍ منوّرةِ ... يصونُها اللهّ أن تستمرئَ البدَعا

يا عُمدتي يا غيوثَ الأرضِ حسبكمُ ... مسحُ الملائكِ تبريكا ومنتفعا

هل تقبلونيَ فردا من رجالكُمُ ؟ ... حتى نعيشَ على هذا الفلاح معا

قدِ اختصصتمْ بشأنٍ كله شرفٌ ... هل تسمحونَ بأن يبقى لنا شَرَعَا؟[١٤٧]

ما زلت ادعوا إلى أمثال نهضتكم ... فكنتم يا رجال الفضل مستمعا

فثبت اللهّ مسعاكم وزادكم ... تقدما في العلا ما كوكب طلعا

يبشرهم بيوم يفر فيه الجهل أمام علومهم وتنويرهم الإسلامي ، وأنهم سيبتهجون بسبب عقولهم التنويرية (بألباب منورة)، هي في حفظ الله وأمنه ورعايته يحفظها من إحداث البدع أو فعل ما يؤدي إليها أو

---

(١) التنصير والاستعمار في أفريقيا السوداء ، عبد العزيز الكحلوت ، ص ٩٣ ، منشورات كلية الدعوة ، ليبيا ،الطبعة الثانية ، ١٩٩٢ م .
(٢) الديوان ص ٢٩٤ .
(٣) منهزعا : منكسرا .
(٤) الشرَعُ : المنهج .

يماثلها ، بل إن صياغته الفنية تشير إلى العاطفة الدينية المانعة من ارتكاب تلك الآثام :(يصونها اللهّ أن تستمرىء البدعا) .

وفي حوار البهلاني مع طلاب العلم المسلمين يستخدم لفظتين تدلان على المستقبل الجليل الذي ينتظرهم ، واللفظتان تدلان في الوقت ذاته على منزلة هؤلاء الطلاب في فؤاده : (يا عمدتي – يا غيوث الأرض ...)، وكفاهم شرفا وفخرا أن الملائكة تمسح جباههم نفعا وبركة إلهية ، ويعرض الشاعر عليهم الانضمام إلى ساحتهم ، كي يحيا النجاح والفلاح في معيتهم .

ذلك لأن الله تعالى خصهم بشرف عظيم ، كان ثمرة لكثير من الدعوات التي نادى بها الشاعر في نضاله الحضاري من أجل رفعة الإسلام والمسلمين.

ولعله من الوضوح بمكان أن الشاعر في رؤيته المناصرة للعلم وطلابه ومؤسساته، إنما ينطلق من خلال منظور إسلامي، ويتعامل مع الحدث الشعري بعاطفة إيمانية تربط بين طلب العلم وبين توفيق الله ورعايته للعلماء، وهو ما لا يسعى إليه الاستعمار، وليس من أولوياته تقديم العلوم الإسلامية إلى أهل البلاد المستعمرة، بل كانت له أهداف أخرى يرصدها لنا التاريخ .

"فقد كان التعليم – على قلته وانخفاض مستوياته – أهم وسائل التنصير على الإطلاق ، وأهم وسائل الاستعمار كذلك ، وقد سيطرت البعثات التنصيرية على التعليم في أفريقيا وسخرته لخدمة أغراضها،

فغرست في الإفريقي القيم الغربية، وعملت بدأب على تهيئتهم لتقبل الاستعمار"[١٤٨].

ثالثا: الصراع العقدي :

عمل الاستعمار سواء الإنجليز في زنجبار أو الألمان في البر الأفريقي إلى إعداد الإرساليات التبشيرية والمدارس والمستشفيات وغيرها من الوسائل البشرية ، فقد ذكر الشيخ عبد الله بن الصالح الفارسي أنه عندما وصل القسيسان تزور وادوارد ستير عام ١٨٦٤ أعطاهما السيد ماجد بيتا عظيما مقرا للبعثة التبشيرية[١٤٩]. وكان الاستعمار يخشى من الوجود المصري في أفريقيا ، لأن وجوده في المنطقة (شرق أفريقيا ووسطها) يؤثر على انتشار الإسلام وانكماش المد المسيحي في المنطقة ، والحيلولة دون إكمال المهمة التبشيرية في المنطقة.

فلقد "عملت انجلترا بكل الوسائل على إبعاد نفوذ مصر من شرقي أفريقيا ووسطها ، لأنها ستعين على انتشار الإسلام وتسانده ، وجندت لذلك الضباط الإنجليز الذين استعان بهم خديوي مصر إسماعيل في فتح تلك الجهات ، كغوردون وغيره ، حتى يتسنى للنفوذ المسيحي أن ينتشر ويتمكن هناك ، بل إن (جون كيرك) قنصل بريطانيا العام في زنجبار آنذاك ، عمل بكل الوسائل من أجل ذلك ، وأرسل إلى (هنري رايت) ... يخبره عن اعتناق متيزا للمسيحية بفضل جهود رجال الإرسالية السالفة الذكر،

---

(١) التنصير والاستعمار في أفريقيا السوداء ، عبد العزيز الكحلوت ، ص ٩٣ .
(٢) البوسعيديون حكام زنجبار : الشيخ عبد الله الفارسي ص ٨٧ طبعة وزارة التراث القومي والثقافة عمان عام ١٩٨٨.

ثم قال : " وإذا اعتنق (متيزا)[١٥٠] المسيحية وعمل على انتشارها بين شعبه ، فإن هذه الخطوة تبدو الفرصة الوحيدة والأخيرة لنا لإنقاذ أفريقيا الوسطى من نفوذ الإسلام الذي يقطع علينا سبيل الرجاء ، ولهذا السبب إن لم يكن لغيره يجب إبعاد المصريين عن المنطقة"[١٥١].

وذلك من أجل التأثير على ثقافة الشعوب وإحداث تغيير ديموجرافي يصب في نهاية المطاف في صالح المستعمر وتحقيق أهدافه العليا من نهب ثروات البلاد من المواد الخام وتصنيعها وإعادة بيع هذه الصناعات للبلاد المحتلة.

وقد أفصح الأستاذ (وسترمان) عن الفرق بين الحضارة الأوروبية والحضارة الإسلامية بقوله "حينما يعتنق الزنجي المسيحية فإننا نحن الأوروبيين نبقى غرباء عن الإفريقي، وحينما يتبنى حضارتنا في ظاهرها فإنه في الحقيقة لا يفهمها. إننا لم نتعلم بعد ولا (المبشرون) منا أيضا أن نتفهم الزنجي في خصائصه المميزة له، فإننا لم نكلف أنفسنا عناء الاهتمام بفهم حضارته وبترقية حضارته من حضارتنا وبالنصرانية ، وبدلا من أن نفعل ذلك رحنا نهدم حضارته ثم نحاول أن نبدلها بحضارتنا ، وهكذا نجدنا معرضين إلى أن نجعل من الزنجي صورة مشوهة للأوروبي ، بينما الإسلام يجعل منه أفريقيا يحترم نفسه. وفوق ذلك لا نجد الزنجي المتدين بالمدنية الأوروبية يبلغ تلك المساواة الاجتماعية التي يبلغه إياها الإسلام بطبيعة الحال ، ثم إن هناك نفرا من الأوروبيين قلما كلفوا أنفسهم عناء في إخفاء حقيقة ما ، ألا وهي أن

---

(١) هو ملك بوغندا وقد استطاع الإنجليز السيطرة عليه وتخويفه من الأطماع المصرية في أعالي النيل في أوغندة ، واستطاعوا إغواءه فاعتنق المسيحية وكان يطمع في الحصول منهم على الأسلحة النارية لمحاربة المصريين والتغلب عليهم . انظر انتشار الإسلام في شرقي أفريقيا ومناهضة الغرب له ، د / محمد النقيرة ، ص ٣٥٤ .

(٢) انتشار الإسلام في شرقي أفريقيا ومناهضة الغرب له ، د / محمد النقيرة ، ص ٣٥٤ .

الأسَيْود[١٥٢] المسيحي لا يزال محتقرا في أعينهم كالزنجي الذي يسكن الأدغال[١٥٣].

فإذا توقفنا عند المنظور الشعري (للبهلاني) وجدناه قد أخلص في كشف النقاب عن الأخطار المرتقبة على الإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة .

ومن قصائده التي صارع فيها الملحدين والعلمانيين قصيدته التي عنوانها (أفيقوا بني القرآن) ولنأخذ منها قوله:[١٥٤]

ألا هل لداعي اللهّ في الأرض سامع؟ فإني بأمر اللهّ يا قوم صادع

وهل من يرى للهّ حقا ومرجعا إليه وأن الدين لا شك واقع ؟

وهل من يرى أن الحقوق التي دعا إليها رسول اللهّ غفل ضوائع ؟

وهل من يرى الشرع الشريف تدرأت عليه حثالات مبير وخانع؟

وهل من يرى أن الحنيفة سامها بما شاء من ضيم لعين مخادع؟

تمالأ ظلما خيله ورجاله وليس لهم حد سوى اللهّ مانع

يدوسونها دوس الحصيد كأنها لقى وأخُو الإيمان في الأسر خاشع[١٥٥]

إنه يستفتح القصيدة بالدعوة إلى مناصرة الإسلام وقضاياه ، من خلال الاستجابة للدعوة التي يطلقها بين أبناء الإسلام ، أن يستجيبوا لنداء الإسلام ، وإنه بادئ بنفسه صادعا لأوامر الدين .ومن هنا جاء

---

(١) تصغير كلمة الأسود .
(٢) التبشير والاستعمار ص ٩ .، للدكتور / مصطفى الخالدي ، والدكتور عمر فروخ ، الطبعة الخامسة ، وزارة التعليم ، ليبيا ، ١٩٧٣ م .
(٣) الديوان ص ٢٦١ .
(٤) يقال : ألقاه، وهو لقًى، وهي ألقاء. وهذا ملقى الكناسات .

الاستفتاح بـــ (ألا) الاستفتاحية أداة تنبيه للإنصات إلى دفقته الشعرية الثائرة ، أعقبها الاستفهام يحض به المتلقين ، ويبحث به عن شخصية مناصرة للحق في صراعه الحضاري ضد الباطل ، وتتوالى الجمل الاستفهامية للغرض نفسه .

ففي البيت الثاني يبحث بالاستفهام عمن يؤمن بأن الحساب بعد الممات قائم لا محالة ، وأن كلا مسؤول عما قدمت يداه .

وفي الثالث يبحث به عمن يرى أن ما أمر به رسول الله (ص) لم يطع أمره فيه، وأن سنته قد غفل الناس عنها وضيعوها.

وفي الرابع يبحث به عمن يوقن أن شريعة الله قد تجنى عليها المفترون من الماديين والوجوديين والعلمانيين والملحدين والشيوعيين وغيرهم.

وفي تلاحمه العقدي مع المتلقين من الجموع المسلمة في زنجبار وغيرها من سائر الأقطار الإسلامية ، يورد البهلاني جملة من الافتراءات التي يروج لها أعداء الإسلام من الشيوعيين والملحدين أعداء كل دين ، فيقول :[١٥٦]

أفيقوا بني القرآن إن هداكم إلى الجبت والطاغوت في الذل ضارع

أفيقوا بني القرآن إن كتابكم يناقض في أحكامه وينازع

تعيث قرود الجبت في سنة الهدى إذا عقدوا شنعاء جاءت شنائع

يعدون دين اللهّ بهتا وهجنة وإن ليس من صوب الاله شرائع

---

(١) الديوان ص ٢٦١ .

وأن وقوع الدين في الأرض مفسد وإن قـــوانين الســـــــــماء فظـــائع

وإن الذي جاءت بـه الرســـل كلـه مضـــر لأســـــباب الرقـــي مصـــارع

يذكر الشاعر ما يتعرض لـه الإسلام من مكائد، ويبصر المسلمين بما يتعرض له الإسلام، من التشويه المتعمد لمصادر التشريع الإسلامي القرآن والسنة.

وتصح صياغته الفنية لفعل الأمر (أفيقوا) عن الوضع غير اللائق الذي كان عليه المخاطبين في النص الشعري ، إذ كانت حالتهم تشبه حالة المغيب عن واقعه ودنياه ، لذل جاء الفعل لائقا بسياقه التاريخي ، وأسلوب الإضافة فيه شحذ واستثارة لأمة منهجها القرآن المجيد، (بني القرآن)، ومن يتربص بالإسلام ومصادره التشريعية يتطابق وصفه مع أعداء الدين من منظور القرآن نفسه ، (الجبت والطاغوت) انطلاقا من قول الله تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاَءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلا)(١٥٧).

والتصوير الفني يوضح انغماس من يسير في ركاب الضالين المضلين في الذل والهوان (في الذل ضارع) .

كما كان النقض والتنازع في أحكام القرآن سمة من سمات كارهي الإسلام والمسلمين (يناقض في أحكامه وينازع)، أما من يعبثون بسنة

---

(١) النساء / ٥١ .

المختار (ص) فقد صورهم بصورة مزرية مشينة ، عن طريق الاستعارة التصريحية، (تعيث قرود الجبت في سنة الهدى).

ثم يبدأ الشاعر في صياغة صورة الشيوعيين من خلال رصد مقولاتهم عن الأديان ودورها التخريبي للكون من وجهة نظرهم المريضة.

فهم يعدون الدين خرافة من الخرافات وتضليلا للشعوب، (بهتا وهجنة)، وأن الإله لا ينبغي أن يشرع للإنسان .

والدين في نظرهم فساد وإفساد للحياة ، ولا تصلح الأديان لإحداث تقدم أو رقي ، بل الأديان تصرع الحضارات الإنسانية وتهدمها . إنها رؤية الشيوعية للدين أفيون الشعوب ، فلأول وهلة " يظهر تعنتها تجاه الأديان فهي تنكرها ولا يريد إلا المادية " فالحياة المادية تهيمن على العلاقات القانونية والسياسية. والعلاقات اللاإرادية التي تنشأ في الإنتاج الاجتماعي هي التي تمثل البناء الاجتماعي[١٥٨].

وانطلاقا من ماديتها هذه " ترى أن الفرد يبتعد عن حقيقة ذاته بإغراء الملكية الخاصة، وبالاعتقاد فى الله ، وفى الديانات المختلفة ، فإذا أزيلت هذه العوامل استطاع الفرد أن يعود إلى الحياة الإنسانية الحقة. إن الدستور والأخلاق والدين خدعة برجوازية تتستر من ورائها من أجل مطامعها"[١٥٩]. ويقول فريدريك إنجلز " فلنقف قليلا عن الدين لأنه أبعد الأشياء عن الحياة المادية ، ويلوح غريبا عنها أكثر من أي شيء آخر ، لقد

---

(١) الفكر الاشتراكي فى مائة وخمسين عاماً صـ ١٦٤ بول لويس، ترجمة وتقديم : عبد الحميد الدواخلى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م .

(١) الماركسية والإسلام صـ ٣٦ ، دكتور مصطفى محمود دار المعارف القاهرة ١٩٧٥ م ، وانظر الشيوعية والإسلام ، عباس محمود العقاد ، و أحمد عبد الغفور عطار ، ص ٥٧ ، ط ثانية ، دار الأندلس ، بيروت لبنان ، ١١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

نشأ الدين بصورة كلية في عصر موغل في القدم من تصورات الناس البدائية المليئة بالأخطاء المتعلقة بطبيعتهم الخاصة والطبيعة الخارجية المحيطة بهم"[١٦٠].

ولم تكن الشيوعية وحدها التيار الجارف الوحيد ، ولكن كان هناك العلمانيون والطبيعيون الذين يبغون تعطيل شرع الله ، وفصل الدين عن حركة الحياة.

أما العلمنة كما يرى جوتفريد كونزلن[١٦١] يمكن فهمها على أنها عملية تراجع السلطة المسيحية ولا سيما بشكلها المؤسس المتعلق بالطوائف المسيحية، وانطلاقا من هذا التفسير، تمثل العلمنة خطة لفهم ضياع أهمية المسيحية الدينية الأصلية واضمحلال نفوذ الكنيسة[١٦٢].

لأن تجربة أوروبا مع الدين تجربة بئيسة إلى أقصى حد، إذ كان الدين بالنسبة إليها ظلاما وجهلا واستبدادا، وغلظة وانصرافا عن عمارة الأرض[١٦٣] (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ)[١٦٤].

ولا أستبعد أن البهلاني بوصفه شخصية تنويرية إسلامية كان على علم بالمعارك التي كانت دائرة بين المستشرقين ومفكري الإسلام ، وكانت

---

(٢) الإيمان بالله والجدل الشيوعي ، فتح الرحمن أحمد محمد الجعلي ، ص ٢٩ ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، الرياض ، جدة ، الدمام ، ط أولى ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

(٣) أستاذ في اللاهوت الإنجيلي والأخلاقيات الاجتماعية ، جامعة القوات المسلحة ، لجمهورية ألمانيا – ميونخ .

(٤) انظر : مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبا (شهادة ألمانية) للقس الألماني الدكتور جوتفريد كونزلن، ص٢٢، تقديم وتعليق د/ محمد عمارة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، ١٩٩٩ .

(٥) راجع : ص ٧ العلمانيون والإسلام ، محمد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، وبيروت ، لبنان ، ط أولى ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤م .

(٦) الحديد / ٢٧ .

تدور رحاها في الإعلام العربي المكتوب وقتها ، بل وفي الإعلام الفرنسي والبريطاني وغيرهما[١٦٥]، ولنقرأ لشاعرنا قوله:[١٦٦].

وإن هدى الاسلام في الأرض ظلمة	ولو زال بانت للرقي سواطع
وإن بني الاسلام في همجية	وحوش تعادي في الفلا أو ضفادع
هلم بنا نقطع حبالة ديننا	إذ الدين عن نور التمدن قاطع
ونذروا وصايا اللهّ في الريح تربة	فليس بها استغفر اللهّ نافع
وفي دولة التعطيل مرعى ونضرة	وفي دولة الدين الديار البلاقع
ولا كون إلا للطبيعة إنها	لها الضر في أكوانها والمنافع
وأن ننتحل شبها لدين سياسة	ففي دولة التبشير فعل مضارع
حبالة صياد ودين ودولة	وتعطيل انسانية وخدائع

يورد الشاعر في رؤيته وجهة النظر للآخر من أصحاب المذاهب المناوئة للإسلام، وماذا يقولون عن الإسلام بوصفه منهج حياة .

ففي هذه القطعة الشعرية أظهر الشاعر براعة غير عادية في تقمص شخصية الآخر، والكشف عن حقيقة فكره واعتقاده، وما يدور في

---

(١) ينظر تفصيل هذه المعارك في : جهود المفكرين المسلمين المعاصرين في مقاومة الإلحاد ، وبخاصة المستشرقون والإسلام ، ص ٦٣ – ص ٨٤ ، دكتور / محمد عبد الحكيم عثمان ، مكتبة العارف ، الريض ، السعودية (د.ت) ، والإسلام والعلمانية وجها لوجه ، للدكتور / يوسف القرضاوي ، ص ٢٣ – ٦٦ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة السابعة ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧م ، والأصولية والعلمانية ، مراد وهبة ، ص ٤٩ وما بعدها ، دار الثقافة القاهرة ، ط أولى ١٩٩٥م .

(٢) الديوان ص ٢٦١ .- ٢٦٢ .

ذهنه من حقد وعداء دفينين للإسلام وأهله، الأمر الذي جعله يترجم حالة وجدانية لذلك الآخر، الذي يضم تحت رايته كل الذين يعادون الإسلام ويضمرون الشر له، وما أثمر عنه اطلاعه الواسع وثقافته الفتية ، وإلمامه الدقيق بما يدور حوله من أحداث في السابق والحاضر، مبلورا إياها في هذه الأبيات، مقررا خلالها رؤيتهم للإسلام وشريعته جهلا ورجعية وتخلفا، وأنه بمنأى عن التقدم والرقي والتحضر ، والمسلمون همج مندفعون ، سفاكون للدماء ، في الصحراوات وحوش وفي الأودية ينقون ويثرثرون .

ثم ينادي مخاطبيه – ساخرا – طالما أن الإسلام ضد التمدن والتحضر والتقدم فدعون ننحيه جانبا من حياتنا ، ودعونا ندرأ وصايا الله تعالى في أوامره ونواهيه ، فلا حاجة لنا فيها ، ويستغفر الله على مقولته .

ومن آرائهم التي يسلط الشاعر عليها عدساته الشعرية كلامهم عن أن تعطيل العمل بالإسلام وشريعته عز ورفاهية ، أما في تحكيمه في الول وسياساتها فهو خراب ودمار.

والمجتمعات تدار من داخلها انطلاقا من قوانينها هي ، وليس بقوانين خارجة عنها ومفروضة عليها من خارجها .

ووسائل التشكيل الفني أسهمت في توضيح الرؤية الشعرية للمذاهب المناهضة للإسلام. ففي البيت الأول جاءت الصورة الشعرية عن طريق الاستعارة كاشفة عن وجهة النظر العلمانية والملحدة في الإسلام وشريعته حال الحكم بهما في محيط السياسة وإدارة شؤون الأمم ، (هدى الإسلام ظلمة) وفي حالة زواله فإن (للرقي سواطع) ، وهي في الواقع صورة ساخرة غاية السخرية من عقول هؤلاء ، إذ كيف يقلبون الصورة الفطرية

للحياة من خلال الإسلام إلى صورة قاتمة ضبابية ، فالله في القرآن المجيد صور الإسلام بالنور والشرك بالظلمات في قوله تعالى (من الظلمات إلى النور) ، بالإضافة إلى تعبيرية الطباق بين الظلمة والنور، إمعانا في السخرية من عقول هؤلاء ، حيث تضافر الطباق مع التصوير الشعري في السخرية من بني علمان والملحدين .

وفي البيت الثاني جاء التصوير أيضا يبرز وجهة النظر العلمانية والملحدة في الإسلام وشريعته ، حيث صور المسلمين بالوحوش ، وهي صورة خرافية أسطورية مألوفة موروثة من التراث العربي ومنازعه في التشبيه والاستعارة ، إمعانا في الغرابة ، غرابة القائل والمقول على حد سواء .

وفي البيت الثالث جاء التصوير على سبيل التهكم والسخرية من مقولات المناوئين ، (هلم بنا نقطع حبالة ديننا) ، (نور التمدن) الأولى استعارة مكنية ، والثانية تصريحية ، وفي البيت قيمة جمالية أخرى أدت إلى قوة الترابط الفني بين شطري البيت ، هي رد العجز على أواسط صدر البيت ، في (نقطع) ، و (قاطع) .

وفي البيت الرابع كذلك عبر بالتصوير الشعري عن السخرية منهم (ونذروا وصايا اللهّ في الريح تربة) ، ثم يحترس عن الزلل والوقوع في الشرك بالجملة الاعتراضية (أستغفر الله).

وفي البيت الخامس عبر على لسانهم بالصورة التي تشكل من مفردات متضادة، (وفي دولة التعطيل / وفي دولة الدين)، و (مرعى ونضرة / الديار البلاقع).

وفي البيت السادس عبر بالنفي والاستثناء ليفيد القصر ، على حد ادعاء الطبيعيين .

وفي البيت السابع عبر بالمصطلح اللغوي النحوي عن واقع التنصير في زنجبار وشرق أفريقيا على وجه العموم (ففي دولة التبشير فعل مضارع) .

وفي البيت الأخير يصور أفعال المناوئين بشباك صائد (حبالة صياد) وما المصيد بهذه الشباك سوى الإسلام ودولته . ولذا ينفعل الشاعر في خطابه للمتلقين فيقول:[١٦٧]

فيا لبني القرآن أين عقولكم ... وقد عصفت هذي الرياح الزعازع

أمسلوبة هذي النهى من صدورنا ... وهل فقدت أبصارنا والمسامع

أما كذبوا لا قبح الله غيرهم ... ولا أفلحت تلك الوجوه اللواكع

لقد ملأوا الآفاق إفكا وخزية ... وبغيا ولا مقصود إلا المطامع

نفوا ملة الاسلام إذ منعتهم ... محارم في حكم العقول فظائع

ولو قلدوا الاسلام ضاق عليهم ... سبيل إلى ما تشتهي النفس واسع

ولا أطلقتهم في الرذالة رتعا ... نذالتهم مما اقتضته الطبايع

يواجه أبناء الإسلام من شكل القرآن الكريم وجدانهم ونمى أفكارهم (فيا لبني القرآن) موظفا الاستفهام ينكر به انقياد بعضهم لمثل هذه النزعات الهدامة (أين عقولكم)، ثم صور التيارات الوافدة والهجمات المتصاعدة بالرياح العاتية في عصفها وشدتها، (وقد عصفت هذي الرياح الزعازع) .

---

(١) الديوان ص ٢٦٢ .

ويتساءل ثانية مندهشا من العقول المغيبة: (أمسلوبة هذي النهى من صدورنا)، ويظهر حيرته من استلاب الأسماع والأبصار: (وهل فقد أبصارنا والمسامع) .

ويوظف الاستفهام ثالثا للتقرير وتثبيت كذب المناوئين للإسلام: (أما كذبوا ؟) ، ويوظف الأسلوب الخبري في الدعاء عليهم وحدهم : (لا قبح الله غيرهم)، ويكرر الدعاء عليهم بأن يخيب الله ظنهم ويبطل كيدهم: (ولا أفلحت تلك الوجوه اللواكع).

ثم يوكد آثامهم وأوزارهم التي ارتكبوها بما يفيد التحقيق والثبوت: (لقد)، والكناية والتجسيم في تبيان حجم المكائد التي حاكوها ضد الإسلام وشريعته العصماء: (ملؤوا الآفاق) ، ويختار معجما دالا على تنوع آثامهم : (إفكا - خزية – بغيا)، ويستعمل النفي والاستثناء قاصرا به صفة الطمع عليهم ، قصر صفة على موصوف : (ولا مقصود إلا المطامع).

ومن يتبنون المذاهب الهدامة تلك إنما رغبة منهم في الحرية المنفلتة في ارتكاب الموبقات (محارم) حرمات حرمها الإسلام وحاربها ، والعقول السليمة ترى أنها من الموبقات المستقبحة: (فظائع).

ولو أنهم جعلوا السلام حكما ومنهاجا لضيق عليهم ما اتسعت له شهواتهم، ولمنع عنهم ما جمحت إليه أهواؤهم، ويا له من جناس جميل ! بين (الرذالة) و النذالة)، حيث أحدث به الشاعر تراسلا في المعنى بين الغاية والوسيلة ، وكل منهما تنأى عن محيط الطهارة والعفة مسافات طوال.

ثم يلقي الشاعر باللائمة على التصارع بين المسلمين بعضهم لبعض، ويدعو إلى التكاتف ونبذ الفرقة بين المذاهب الإسلامية ، والتفرغ لأعداء الدين قائلا(١٦٨) :

لقد مكن الأعداء منا انخداعنا ... وقد لاح آل في المهامه لامع

وسورة بعض فوق بعض وحملة ... لزيد على عمرو وما ثم رادع

وتمزيق هذا الدين كل لمذهب ... له شيع فيما ادعاه تشايع

وما الدين إلا واحد والذي نرى ... ضلالات أتباع الهوى تتقارع

وما ترك المختار ألف ديانة ... ولا جاء في القرآن هذا التنازع

فيا ليت أهل الدين لم يتفرقوا ... وليت نظام الدين للكل جامع

لو التزموا من عزة الدين شرطها ... لما اتضعت منها الرعان الفوارع

وما ذبح الإسلام إلا سيوفنا ... وقد جعلت في نفسها تتصارع

وما صدعة الاسلام من سيف خصمه ... بأعظم مما بين أهليه واقع

يسجل الشاعر في رؤيته المتصارعة حضاريا مع الآخر أسباب انتكاسات المسلمين وعوامل تمكن العدو منهم، **وأول هذه الأسباب** : عدم يقظة المسلمين وانخداعهم في الوافد عليهم، وعد أخذهم الحيطة والحذر ، وصور دعواتهم بالسراب الخادع للأنظار: (وقد لاح آل في المهامه لامع).

---

(١) الديوان ص ٢٦٢ – ٢٦٣ .

وثاني الأسباب : الصراع الداخلي بين الجماعة والجماعة ، وبين الشخص الفرد والآخر، بمعنى انعدام الحوار الداخلي بين أفراد المجتمع المسلم، وقد آثر أن يكني عن الأشخاص المتصارعين بزيد وعمرو .

وثالث الأسباب : الصراع المذهبي بين أتباع المذهب والمذهب الآخر، وتعبير الشاعر فيه إدانة للمتصارعين مذهبيا، حين عبر بالمصدر (تمزيق)، للدلالة على أن أصل الدين واحد، والكل يتسربل بالثوب الواحد ، والتنازع يمزق هذا الثوب، ويعري كل المتصارعين، أمام أنفسهم وأمام الآخر .

ومن هنا جاء القصر ليثبت وحدة أصول الدين لكل المذاهب: (وما الدين إلا واحد)، وأطلق على التعصب للمذهب ورفض الآخر بكلمة (ضلالات)، والدين واحد، وقد جاء نبي الإسلام بدين واحد: (وما ترك المختار ألف ديانة)، وهذا التصارح والتناحر بين أتباع المذاهب لم يجئ به القرآن ولا أباحه وما حلله: (ولا جاء في القرآن هذا التنازع)، أسلوب خبري يبكت به أهل الصراع وأهل الشقاق .

ثم يتمنى أن يتوحد المسلمون ولا يتفرقوا، وأن يلتفوا حول كلمة التوحيد، ويرى أن الإسلام لم يذبح إلا بسيف أهله، وإن الأخطار التي يتعرض لها الدين من أتباعه أكثر جرما مما يتعرض له من الأعداء المناوئين.

المبحث الثالث

التشكيل الفني لأبعاد الحضارة في شعر البهلاني

أولا: الفكرة الشعرية والعلوم البينية :

الفكرة الشعرية من أهم العناصر في العمل الإبداعي ، إذ فيها يظهر حظ المبدع الأدبي من التجديد والتقليد ، أو جمعه بين الأصالة

والمعاصرة ، ويبدو في رؤاه الشعرية مدى تأثرها بالمؤثرات المحيطة به ، وبثقافته العامة والنوعية المتخصصة .

وشاعرنا ينتمي إلى جيل النهضة العربية الحديثة ، الذي حمل على أكتافه مسؤولية الارتقاء بالعلوم الإسلامية والعربية والإنسانية على وجه العموم .

يشاركه هذه المسؤولية جلة من أعلام الفكر والإبداع في مصر والعالم العربي ، كشوقي وحافظ وغيرهما ممن أشرنا إليهم سابقا .

وقد كان لدى هذا الجيل نهم ثقافي ورغبة جارفة في استيعاب جملة من العلوم والمعارف، التي تتصل بعلوم الدين الإسلامي واللغة العربية.

وشاعرنا من رواد التنوير في العالم العربي لذا ألزم نفسه بالتبحر في عدد من العلوم والمعارف، ولعله أيقن أن " الشاعر مأخوذ بكل علم، مطلوب بكل مكرمة؛ لاتساع الشعر واحتماله كل ما حمل: من نحو، ولغة، وفقه، وخبر، وحساب، وفريضة، واحتياج أكثر هذه العلوم إلى شهادته، وهو مكتف بذاته، مستغن عما سواه؛ ولأنه قيد للأخبار، وتجديد للآثار. وليأخذ نفسه بحفظ الشعر والخبر، ومعرفة النسب، وأيام العرب؛ ليستعمل بعض ذلك فيما يريده من ذكر الآثار، وضرب الأمثال"(١٦٩).

والبهلاني مع شاعريته كان عابدا زاهدا متصوفا منافحا عن الإسلام عقيدة وشريعة ومنهجا ، وكان سياسيا ومصلحا اجتماعيا على منهج الإسلام ،وكان قاضيا ومشرعا وملما بعدد من العلوم والمعارف الأخرى ، لذلك ليس مستغربا هذا التنوع الثقافي والمعرفي الذي يمكننا رصده من خلال تتبع أفكاره الشعرية ، على النحو التالي:

---

(١) العمدة : ١ / ١٩٦ – ١٩٧ .

١-**الفكرة المنطقية الفلسفية**: وقد تعددت مواطنها في القصائد التي تبرز معالم الحضارة العربية المسلمة في بعدها العقدي التوحيدي المتصل بالات العلية وصفاتها، ومنها قول البهلاني(١٧٠):

مَا لِلطَّبيعةِ تَنْزُو فَوْقَ مَرْكَزِهَا ... وَمَا لَهَا فِي الَّذي تَنْزُو لَهُ أثَرُ(١٧١)

أليْسَ نَفْسُ الهيولي لا يُحَرِّكُهَا ... إلاَّ المعَلِّلُ والْمَعْلُولُ مُقْتَسَرُ ؟(١٧٢)

والحَدُّ والرَّسْمُ والأشكَالُ والصِّوَرُ ... والْحَلُّ والْعَقْدُ والإبْرَامُ والْغِيَر

وَالكُلُّ والجُزْءُ مِمَّا كانَ مُمْتَنَعَا ... وَغَيْر مُمْتَنَعٍ فِي اللوْحِ مُسْتَطَرُ

وكلُّ مَا كانَ مَوْجُودا وَمُنْعَدِما ... فَمِنْ إرَادَتِهِ لا شَكَّ مُؤْتَمِرُ

أيَجْهَلُ اللهَّ أمْرا نَحْنُ نَعْلَمُهُ ... أنْ لَيْسَ تحصُرُهُ مِنْ جِنْسِهِ صِوَرُ ؟

مِنْ أمْرِهِ اللَّمْ يَكُنْ وَالْلاَ يَكُونُ وَكُنْ ... فَكَيْفَ يَجْهَلُ مَا يَسْتَحْصِلُ الْبَشَرُ

فالفكرة هنا منطقية فلسفية تنتمي إلى مدار علم الكلام ، تلك التي انتهجت توظيف هذه العلوم للكلام في العقيدة الإسلامية، بأبعادها المختلفة ، وأقسامها المتنوعة، من الإلهيات والنبوات والغيبيات، تجلي غامضها، وتزيح اللثام عما استشكل من مسائلها(١٧٣).

---

(١) الديوان ص ٢٢.
(٢) نزا : قفز أز وثب
(٣) الهيولي : كلمة يونانية تعنى الأصل أو المادة، وهى واحدة في جميع الأشياء في الجماد، والنبات، والحيوان، وإنما تتباين الكائنات في الصور فقط. فالهيولى في ذاته لا صورة له ولا صفة. لذلك يحتاج إلي الصورة لكي تجعله يظهر وتتحدد معالمه
الاقتِسارُ : على زنة افتِعال من القسْر، وهو القهر والغلبة .
(١) علم الكلام : هو العلم الذي يبحث فيه عن إثبات أصول الدين الإسلامي بالأدلة المفيدة لليقين بها . ينظر : خلاصة علم الكلام ، للدكتور عبد الهادي الفضلي، ص ٢١ ، دار المؤرخ العربي، بيروت – لبنان ، منشورات الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، ط ثانية ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م .

ومما هو معلوم في الدوائر المعنية بالإسلام وعلومه أن "علم الكلام يتوفر على بحث ودراسة مسائل العقيدة الإسلامية الحقة بإيراد الأدلة وعرض الحجج على إثباتها، ومناقشة الأقوال والآراء المخالفة لها ، ومحاكمة أدلة تلكم الآراء والأقوال ، وإثبات بطلانها ، ونقد الشبهات التي تثار حولها ، ودفعها بالحجة والبرهان"(١٧٤).

وشاعرنا واحد من هؤلاء العلماء الذين أسهموا بقدر كبير في هذا العلم، ولم ينفصل هذا العلم -وغيره من علوم الإسلام - عن شاعريته، وظل ملازما لجهوده طوال حياته.

والمعجم المنطقي الفلسفي واضح جلي، وهو كما جاء في النص: (الهيولي – المعلل – المعلول – الحد – الرسم الأشكال – الصور– الحل – العقد – الكل – الجزء – الموجود – المنعدم).

وهذه المصطلحات وغيرها يوظفها الشاعر في رؤيته التي تجلو الحضارة الإسلامية في بعدها العقدي. والكلام هنا عن صفات القدرة والإرادة والعلم ، الواجب ثبوتها في حق الله تعالى ، واستحالة أضدادها في الذات العلية .

وقد اقتضت الرؤية جملة من الوسائل التشكيلية استعان بها البهلاني في التعبير عن رؤيته،كان أولها الاستفهام في البيت الثاني (أليس نفس الهيولي ...) الذي أثرى الحوار وزاد من درجة التلاحم مع المتلقي ، ومحاولة إقناعه أو تثبيت هذه الحقيقة التوحيدية في المفهوم والوجدان .

---

(٢) خلاصة علم الكلام ، للدكتور عبد الهادي الفضلي، ص ٢١

ومنهـا التضـاد الفنـي (الطبـاق إيجابـا وسـلبا) فـي البيتـين الثالـث والرابع : (الحد/ الرسم – الأشكال / الصور – الحل/العقد – الكل / الجزء – كان ممتنعا / غير ممتنع).

ولا يخفى الترصيع بالأصوات المتجانسة (الصوت الناتج عن حركة الضم) في بيت شعري كامل ألا وهو : .

والحَدُّ والرَّسْمُ والأشْكالُ والصِّوَرُ والحَـلُّ والعقْـدُ والإبْـرامُ والغيـرُ

٢ـالفكرة الصوفية البيئتان اللتان تنقل بينهما البهلاني (عمان – زنجبار) تتمتعان بالتصوف ، مظهرا وسلوكا وإبداعا .

وقد مارس شاعرنا التصوف العملي، وعايش التصوف الإبداعي ، فتنوعت لديه جملة من الأفكار والمعاني الصوفية ، نركز فيها على الحقيقة المحمدية .

ـ الحقيقة المحمدية[١٧٥].

وَما طمعَ الأمْلاكُ والرُّسْلُ مُطْلَقا بـأنْ يَبْلُغُـوا مِقْـدَارَهُ مَـعَ نِسْـبَةِ

وَلا جَنَحَ الأبْرَارُ أنْ يَتَزَلَّفُوا إلَيْـكَ سِـوَى مِـنْ بَابِـهِ عِنْـدَ قربـة

قسَمْتَ حُظُوظ الْقُرْبِ بَيْنَ جَمِيعِهِمْ وَلَكِنَّهَـا مِـنْ حَظِّـهِ فـي الْحَقِيقَـةِ

وَآثَرْتَهُ مِنْ بَيْن خَلْقِكَ كُلِّهَمْ بـأنْ كَـانَ أصْـلَ الْكَائِنَـاتِ الْبَدِيعَـةِ

وَآثَرْتَهُ مِنْ بَيْن خَلْقِكَ كُلِّهَمْ بـأنْ كَـانَ عِنْـدَ اللهِّ خَيْـرَ وَسِـيلَةِ

وَآثَرْتَهُ مِنْ بَيْن خَلْقِكَ كُلِّهَمْ بـأنْ جَـاءَ مَبْعُوثـا إلَـى خَيْـرِ أمَّـةِ

---

(١) ينظر الديوان ص ١١٣

وَآثَرْتَهُ مِنْ بَيْنِ خَلْقِكَ كُلِّهِمْ عَلَى الصَّحْفِ الأُولَى بِكُلِّ نُبُوَّةِ

هذه فكرة صوفية تتصل بملمح من ملامح الشخصية المحمدية (ﷺ)، متعارف على هذه الملامح في البيئات الصوفية منذ الرعيل الأول، كما نألفها عند أدباء الصوفية وتكررت في شعر ابن الفارض وكتابات ابن عربي وغيرهما.

إذ المنظور الصوفي يجعل النبي (ﷺ)أصل الموجودات، وليس نورا أزليا فقط ظهر مع خلق آدم أو قبله، كما أنه سجدت لنوره الملائكة لما تشعشع في جبين آدم ، وتجاوز بعضهم ذلك ليقول إن محمدا (ﷺ) أصل الكون وعلة وجوده .

ذلك أن " الحقيقة المحمدية عند الصوفية هي أول مخلوق، لأن حقيقته كانت موجودة في الهباء، وهو أول الخلق، فلما تجلى الله بنوره إلى ذلك الهباء، والعالم كله فيه بالقوة قبل منه كل شيء على حسب قربه من النور، ولم يكن أحد أقرب إليه من حقيقته (ﷺ) فكان مبدأ ظهور العالم، وأول موجود ... ومعنى ذلك أن الوجود الخارجي للنبوة وهو الوجود الفعلي الواقعي في العالم، مجرد مظهر لصورة هذا الوجود في العالم الإلهي القديم "[١٧٦].

والنبي (ﷺ) من هذا المنظور الشعري الصوفي بلغ من علو الشأن وعظيم المنزلة ما لم يبلغه ملك من الملائكة، ولا رسول من الرسل الكرام ، ولا الأبرار.

وتتجلى الحقيقة المحمدية في البيت الرابع حيث قوله: (بأن كان أصل الكائنات البديعة) .

---

(١) شعر عمر بن الفارض (دراسة في فن الشعر الصوفي) للدكتور عاطف جودة ناصر ، دار الأندلس للطباعة و النشر، الطبعة الأولى ١٩٨٦م، ص ٢٠٤-٢٠٥ .

وقد كان البهلاني في شعره الصوفي أكثر عمقا واندماجا في عالم التصوف من معاصريه من الشعراء العمانيين(١٧٧).

٣ـالفكرة الفقهية التشريعية

ومما يتصل بفقه العبادات قول البهلاني(١٧٨):

إنّ الأحَـبّ منَ الْعِبَاد لِـرَبِّـــهِ عَبْـدٌ يُرَاعِـى لِلأظِلّـةِ فِـي الْخَبَـرْ
وَأوَائِلُ الأوْقاتِ رُتْبَةُ فَضْلِهَا حَـضّ النبـيّ وفِعْلُـهُ فِيهَـا اسْـتَمَرْ
رضْـــوَانُ رَبّكَ أوّلُ الأوْقـــاتِ وَالْ أوْسَـاطِ رَحْمَتُـهُ وَعَفْـوٌ فِـي الأخَـرْ
وَاسْتَثْنِيَ الْعَتْمَاتِ فِي لَيْـل الشّـتَا وَالظّهْـرَ لِلتّبْرِيـدِ فِـي أيّـامِ حَـرْ
وَالْبَعْضُ يَخْتَـارُ انْتِظَـارَ جَمَـاعَةِ وَالْـبَعْضُ يَخْتَـارُ الْحَـدِيثَ كَمَـا ظَهَـرْ
وَإِذَا تَهَيّـأتِ الْجَمَـاعَةَ كُلّهَـا كَبّـرْ وَهَـذَا الْبَـابُ مِـنْ حُسْـنِ النّظَـرْ

فمن بيئة الفقهاء العلماء تأتينا هذه الفكرة المتصلة بالصلاة وأوقاتها المستحبة، وأعلى رتبة من رتبها أول الوقت .

فالرتبة الأولى هي الرضوان ، والثانية هي الرحمة ، والثالثة والأخيرة من مراتب الأوقات هي العفو .

وهذه الأبيات في صياغتها أقرب ما تكون إلى النظم ، وإلى أسلوب الشعر التعليمي ، الغرض منه تقديم الموعظة الحسنة لجموع المتلقين .

ومن المعلوم أن الحضارة الإسلامية جزء من مكوناتها (تأسيسا وأبعادا) ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولكن بضوابطه التي حددها التشريع الإسلامي .

---

(٢) انظر : تطور الشعر العماني المعاصر(في النصف الثاني للقرن العشرين) دكتور محمد بن مسلم بن دبلان المهري ، ص ٤٢ ، النادي الثقافي مسقط – دار الفرقد ، ط أولى ٢٠١٠ م.
(٣) الديوان ص ٣٠٤ .

ونلاحظ تنوع أسلوب الخطاب في الأبيات بيت الاتصال بتاء الخطاب (الظاهر والمستتر)، أو الاتصال بضمير الغائب (الظاهر والمستتر).

وهو الالتفات من المخاطب إلى الغائب والعكس ، وكان الهدف من هذا التوجيه الأسلوبي تعميم الخطاب الشعري ، وتعدد الدوائر المتلقية للخطاب ، لأن الهدف من الأساس هو تعميم النصيحة على كافة المستويات سيرا على النهج المحمدي (ﷺ) في الدعوة والتبليغ ففي الحديث الذي يرويه تَمِيمٍ الدَّارِيِّ " أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ : الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ قَالَ للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ "[١٧٩].

- ومن بيئات الصلاة في المساجد وغيرها يطرح فكرة الإمامة في الصلاة بقوله[١٨٠]:

إنَّ الإِمَامَةَ مَنْصِبٌ وَمَقَامُها ... لِمَزِيدِ إِخْلاصٍ مِنَ الْكِبرِ افْتَقَرْ

لا تَبْغِهَا بَذْخا بِهَا وَتَرَفُّعَا ... فَيُكَبَّكَ الْجَبَّارُ يَوْما فِي سَقَرْ

لتكن إقامتها على الإخلاص لا ... لتكون متبوعا يعظمك البشر

ومَقَاصِدُ الأَلْبَابِ يَعْلَمُ كَيْفَهَا ... مَنْ لاَ يَغِيبُ عَنْهُ مَطْوِيَّ الْفِكَرْ

أترَى يُغَالِطُهُ الضَّمِيرُ وَعِلْمُهُ ... مَحْصٌ سَوَاءٌ مَنْ أَسَرَّ ومَنْ جَهَرْ ؟

فَهَبِ الخِدَاع مَعَ البَرِيَّةِ نَافِعا ... أَتَرَاهُ عَمَّنْ يَعْلَمُ الْغَيْبَ اسْتَتَرْ ؟

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان دار إحياء الكتب العربية ١ / ٧٥.
(١) الديوان ص ٣٠٣

نحن هنا أمام شاعر فقيه ، يتناول مرتبة الإمامة في الصلاة ، التي ينبغي أن تبنى على التواضع والإخلاص فيها لوجه الله تعالى ، لا لمنزلة دنيوية اجتماعية تضع الإمام في مرتبة التقدير والاحترام من الناس ، ومن كانت هذه نيته ، فإن مآله في الآخرة سقر، والله مطلع على القلوب وما يعتمل داخلها ولا تخفى عليه خافية.

والشاعر في حواره مع المتلقي يزاوج بين الخبر والإنشاء في اتساق يقتضيه السياق الشعري، والدفقة الفكرية في هذا المقطع الشعري تقرير ونصح وإرشاد وإنكار.

فأما تقرير الحقائق الفقهية فاقتضت الأسلوب الخبري في قوله: (إن الإمامة منصب ...)، (ومقاصد الألباب يعلم كيفها)، وأما النصح والإرشاد فقد اقتضى أفعال الأمر: (لا تبغها بذخا بها ...) و(لتكن إقامتها على الإخلاص ...) .، وأما الإنكار فقد اقتضي أسلوب الاستفهام المجازي في قوله : (أترى يغالطه الضمير ...؟) و (أتراه عمن يعلم الغيب استتر؟).

٣- التجويد والتلاوة :

ومما يتصل بعلوم القرآن أحكام التلاوة وعلم القراءات قوله:[١٨١]

وَيُشَاكِلِ اللحْنَ الْوُقُوفُ يُبَدِّلُ الْـ ـــمَعْنَى وَقِيـــلَ إذا بتَوْحِيـــدٍ أضَـــرْ

وَنَظِيرُهُ الإهْمالُ والإعْجَامُ فِي الْـ ـــقُرْآنِ إذْ بهمَـــا يَـــؤُولُ إلَـــى الْغِيَـــرْ

وَنَظِيرُهُ جَهْلُ الْمَخَارِجِ لِلْحُرو فِ عَلَـى الصَّـلاةِ لِمَـنْ يُـؤَمَّ بـهِ ضَـرَرْ

ويَؤُمَّهُمْ ذُو آفَةٍ بِلِسَانِهِ إنْ لَـمْ يَكُـنْ عَـنْ جَهْلِـهِ الْحَـرْفُ انْكَسَـرْ

---

(١) الديوان ص ٣٠٤ .

وَيَصِحَّ مِنْ ذِي لُكْنَةٍ إِنْ كَانَ مَا تَجْزِي الصَّلاَةُ بِهِ مِنَ الأي اسْتَقَرْ

وَمُبَدِّلٍ حَرْفا بِحَرْفٍ إِنْ يَكُنْ عَنْ آفَةٍ أَوْ فِطْرَةٍ وَقَعَ الأَثَرْ

وهذه الفكرة لا يستوعبها كل المتلقين، ولا يفهم مراميها القارئ العادي من عوام الناس ، ولكن يفقهها المتخصصون ممن تقتضي طبيعة دراستهم الإلمام بهذين العلمين، وبخاصة أحكام التلاوة ، لأن علم القراءات مرتبة تخصصية أرقى من أحكام التلاوة .

وتنحصر أحكام التلاوة في أحكام النون الساكنة والتنوين ، وما يترتب عليهما من الإظهار الحلقي والشفوي ، والإدغام بغنة وبغير غنة ، والإقلاب والإخفاء ، ومخارج الحروف والمد وأنواعه ، وأحكام الوقف والوصل .

وهي علوم يدرسها طلاب المعاهد الأزهرية في مصر وخارجها ، وتعتمدها ضمن مناهجها التدريسية جامعة الأزهر في مصر وفروعها في الخارج ، وتعتمدها بعض الجامعات في بعض الدول الإسلامية . وبعض المصطلحات هنا ينبغي التوقف عندها ، ومنها: اللحن : يعني مخالفة أصول اللغة العربية في قواعد الضبط النحوي أو البناء الصرفي ، أو قواعد اللهجات والقراءات في القرآن الكريم ، فإن اللحن قد يترتب عليه قلب المعنى أو غيره من الأغلاط ، أو هو " الخطأ في قراءة القرآن الكريم، والميل عن الصواب في التلاوة ، واللحن قسمان : جلي وخفي،أما اللحن الجلي : فهو خطأ يطرأ على الألفاظ فيخل بالقراءة، سواء أخل بالمعنى أم لم يخل ويشترك في معرفته علماء القراءة وغيرهم، وهو يقع بتغيير حرف بحرف أو حركة بحركة، كتبديل الطاء دالا بترك إطباقها واستعلائها ... وكتغيير الضمة بالفتحة في قوله تعالى: الحمد لله، وهذا النوع حرام يأثم القارئ بفعله .

وأما اللحن الخفي فهو خطأ يطرأ على الألفاظ فيخل بالعرف دون المعنى، ويقع بترك الغنة،وقصر المد ومد القصر،... واللحن الخفي مكروه " [١٨٢] وأما الوقف : فهو الوقوف أثناء التلاوة على كلمة جوازا أو وجوبا أو ممتنع الوقوف أصلا ،أما الإهمال فهو ترك الهمزة ، والإعجام فهو إثباتها عند التلاوة [١٨٣].

والشاعر يشير إلى كل ذلك وينبغي مراعاته عند التلاوة وإمامة الناس في الصلاة، وإلا بطلت الصلاة في وجود من هو أولى بالإمامة ، إذ ألم بأحكام التلاوة وحفظ قدرا من القرآن الكريم .

ثانيا: اللغة والأسلوب :

لا يمكن أن تتشابه الأساليب التعبيرية تمام التشابه، وإنما تتباين فيما بينها وقد أشار القاضي أبو حسن الجرجاني إلى بعض ذلك قائلا: "وقد كان القوم يختلفون في ذلك وتتباين فيه أحوالهم فيرقّ شعر أحدهم ويصلب شعر الآخر ويسهل لفظ أحدهم ويتوعر منطق غيره وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع وتركيب الخلق، فإن سلاسة اللفظ تتبع سلاسة الطبع ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلقة"[١٨٤].

وبين شاعرنا والمتنبي مقاربة أسلوبية واضحة ، وكلما قرأت للبهلاني أشعارا كانت الشخصية الشعرية للمتنبي حاضرة أمامي ، وليس معنى هذا أن البهلاني يقلد المتنبي ، ولكن أعنى بين الرجلين علاقة فنية وتلاق فكري وهم قومي مشترك واعتزاز بالنفس منقطع النظير.

---

(١) الملخص المفيد في علم التجويد ،محمد أحمد معبد، ص ١٠ ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، السعودية (بدون) .
(٢) ينظر المرجع السابق (الوقف) ص١٠١ وما بعدها، ومخارج الحروف ص٦٦، وما بعدها، وباب همزة الوصل ص١١٣.
(١) الوساطة ١٧- ١٨ .

على أنّ من أعمق ما يميز شاعرا عن آخر ذلك الإحساس اللفظي، الذي يتّصف به الشعراء عامة، ويعطي شعرهم صبغة تميّزه عن الكلام العادي.ونظرية المعجم الشعري نوع اللغة المناسبة للشعر والرّخص المسموح بها، ومعجم كاتب أو أديب « للشاعر :هي مجموعة من الألفاظ التي تشيع في قلمه ويستعملها في التعبير عن أفكاره، والمعروف أنّ ثروة كلّ كاتب تختلف عن ثروة زميله كمية ونوعية، حسب ثقافة كلّ منهما والمناهل التي استقيا منها وسائل الإبانة)[١٨٥].

واللّغة الشعرية تتّسم بالتواتر المستمرّ بين القديم والجديد، والثابت والمتغير من« طرائق الألفاظ وقوالب الصياغة .ممّا يضع أمام الشاعر خيارات شتّي من أعراف اللسان، ودلالة الكلمة .وهو أمام هذا الحصاد المعرفي والمذخور اللفظي تعامل وفق ذائقته وإحساسه، ويعكس وعيه الشعري، وخاصّة أمام العرض الّذي هو بصدده[١٨٦].

فقد كان البهلاني، علي حظّ كبير من الثقافة اللغوية، و كان عالما بغريبها ومأنوسها، كما كان على دراية بالألفاظ المستحدثة والتراكيب المولدة لدى الأجيال السابقة، وكانت ألفاظه الشعرية تتسم بالرقة حينا والجزالة وحسن السبك في معظم الأحيان ، وسنركز على معلمين هما : الجزالة والغرابة ، وتوظيف المعجم الفقهي في غير سياقه .

١-المعجم الشعري بين الجزالة والغرابة:

---

(٢) المتنبّي مالئ الدّنيا وشاغل النّاس محمّد التونجي،ص ٥٥ ، عالم الكتاب ، بيروت ، ط ثانية ١٩٩٢م .

(١) حول الأديب والواقع ، عبد المحسن طه بدر، ١٣٠، ط ثامنة، دار المعارف ، القاهرة (د.ت) .

فيما يتصل بالمعجم الشعري ينبغي أن نتوقف عند ظاهرتين أسلوبيتين، هما جزالة الألفاظ سمة تلازمية تغلب على شعر البهلاني ، والأخرى غرابة بعضها ، أما المعجم الجزل فنذكر منه قوله[١٨٧]:

حَتَّى مَتَى تُنْصِبُنِي أُمْنِيَةٌ ... فِي نُصْرَةِ اللهِّ فَتَعْدُونِي الْمُنَى[١٨٨]

كَأَنَّنِي مُكَبَّلٌ فِي شَرَكٍ ... يزداد في الشد إذا قلت وهى[١٨٩]

أَشاطِرُ النَّجْمَ السُّهَادَ سَاريا ... فَيَغْرُبُ النَّجْمُ وعَيْنِي فِي السُّرَى[١٩٠]

كَأَنَّ أَفْعَى نَهَشَتْ حَشَاشَتِي ... من لازب الهم وتلهاب الحشا[١٩١]

أَذْكَى مِنَ النَّار بقَلْبي زَفْرَةٌ ... يُخْرِجُهَا المَظْلُومُ مِنْ حَرِّ الأَسَا

مُحْتَرَقَ الأَكْبادِ مِنْ حَسْرَتِهِ ... لا غَوْثُ لا مُنْصِفُ لا يَلْوِي إِلَى

أَنْفَاسُهُ تَطْرُقُ بَابَ الْعَرْشِ لاَ ... تَطْرُقُ بابا غَيْرَهُ وَلا ذرى

الجرس الموسيقي للألفاظ يغلب عليه الشدة والصلابة، وكثرت الحروف الشديدة الانفجارية والمضعفة ، وتتالي حرف التاء – مثلا – في قوله : (حتى متى تنصبني أمنية ... في نصرة اللهّ فتعدوني المنى) مع تضعيفه تارة وتنوينه تارة أخرى شاع في النص القوة والصخب والجلجلة.

---

(٢) الديوان ص ٢٧٦ .
(٣) تنصبني : تتعبني .
(٤) الشرك : الحبل الذي يربط به .
(٥) الساري : الماشي ليلا، والسرى : سير عامة الليل.
(١) حشاشتي : بقيتي .

وفي البيت الثاني تكررت حروف الكاف والقاف والنون والدال مع تكرار الحرف الواحد في الكلمة الواحدة وتضعيف بعض الحروف في بعضها الآخر ، أشاع في النص ذلك الجو الموسيقي الصاخب كما في البيت الأول .

وهكذا في بقية النص ، وظاهرة الجزالة هذه نلاحظها سمة أسلوبية تلتصق بطبيعة الشاعر نفسه ، التي جبلت على الصرامة والوقار والانضباط الذي بدا في سلوك الشاعر كما لو كان شخصية عسكرية لا تعرف غير القوة ، والأسلوب هذا يرتبط كذلك بطبيعة القضايا التي أثارها خطابه الشعري ، والمعترك السياسي والاجتماعي والعقدي مع جموع المتلقين فرض هذه السمة الأسلوبية وجعلها تغلب على أساليبه الأخرى .

أما غرابة الألفاظ فمنها قوله(١٩٢) :

مَا تَنْفَعُ الْغَيْرَةُ فِي مَكْمَنِهَا ... والسَّيْفُ فِي قِرَابِهِ لا يُنْتَضَى(١٩٣)

حَتَّى تَكِرَّ الْخَيْلُ كشْفا سَاقِطا ... تَهْوِي هَوِيَّ العَاصِفَاتِ فِي الْوَغَى (١٩٤)

تَجَمَّزَ جَمْزا بِالْكُمَاةِ شُزَّبا ... عَوَابِسا شُمسا كَسِيدَانِ الْغَضَا (١٩٥)

فِي فَيْلَقٍ حَالِكَةٍ أَرْكَانُهُ ... يُجَلِّلُ الأَرْضَ الدَّجَى رأد الضحى (١٩٦)

---

(٢) الديوان ص ٢٧٧ .

(١) نضو السهم: قدحه.

(٢) الكشف في الخيل: التواء في عسِيب الذنَب ، العاصفات : هي الرياح يقال عصفت الرياح إذا هبت بتَصويت .

(٣) وقد جمز البعير يجمز بالكَسر جمزا ، والجماز: البعير الذي يركبه المجمز ، الكماة : الفرسان ، والشازب: الضامر اليابس من الناس وغيرهم؛ وأكثر ما يستعمل في الخيل والناس ، وعوابس : مفردُها عَابسَة ، مِنْ عَبَسَ يَعْبِسُ عَبْساً وعَبَّس: قطَّبَ ما بين عينيه ، بمعنى الغضب الشديد ، والسيدان : الذئاب ، وسيدان الغضا : أسد الغاب.

(٤) رأد الضحى : وقت ارتفاع الشمس وانبساط النور في أول النهار.

مُجْـــرِ لهـــامٍ أرْعَـــنٍ هَطْلَـــعٍ عَمْرٍ دَخَاسٍ لَجِبٍ صَعْبِ الذرى[١٩٧]

المعجم في هذه الأبيات غريب من البنات اللغوية في جيلها الأول ، جيل الاحتجاج اللغوي منذ العصر الجاهلي حتى عصر بني أمية، وألفاظه : (كشفا – العَاصفات – تجمز- جمزا - بالكماة – شزبا – عوابسا - شمسا – كسيدان – الغضا - رأد الضحى – مجرٍ - لهامٍ - أرعنٍ – هطلع – غمرٍ – دخاسٍ - لجبٍ) تحتاج إلى عدد من المعاجم للكشف عن معانيها معجميا ، ثم محاولة فهم معناها الآخر في سياق النص الشعريى ، على جانبي الحقيقة والمجاز .

وهذه السمة الأسلوبية في المعجم الشعري، يكاد يتفق فيها مع معاصريه من رواد النهضة العربية الحديثة ، من الشعراء المحافظين على وجه الدقة .

والمعجم الشعري في مجمله يتم بالانسجام مع مقاييس العربية مفردات وتراكيب، وابتعد عن الألفاظ السوقية والمستهجنة ، وكانت الألفاظ منتقاة مختارة بعناية ، حتى تؤدي المفردة كامل دورها وهي محملة بطاقة تعبيرية بدلالتها المعجمية ، ودلالتها في الصياغة الفنية .

ولم أعثر على معجم دخيل إلا لفظة واحدة فارسية كررها مرتين ، هي كلمة (دست) من الكلمات المألوفة في الشعر العربي في العصر العباسي والعصور التالية له، ومن نماذج استعمالها عند البهلاني قوله في مدح السلطان حمد بن ثويني[١٩٨].

وَمَا تَشَعْشَعَ مِنْ لألاءِ غُرَّتِهِ يَحْكِـــي بَيَـــاضَ أيَادِيـــهِ إذَا بَسَـــطا

---

(٥) الهَطْلَعُ : الكثيرُ ، وفرس عَمْرٌ: جواد كثير العَدْو واسع الجَرْي ، اللَّجَبُ: الصَّوْتُ والصِّياحُ والجَلَبة ، صعب الذرى : ممتنع النيل منه .
(١) الديوان ص ٣٩٥ .

إذَا تَصَدَّرَ فِي (دَسْتِ) الْجَلالِ شَهِدْ نَـا الْبَـدْرَ بالْفَلَـكِ الـدَّوَّارِ قـدْ هَبَطـا[١٩٩]

واستعملها مرة أخرى في ذمه للدنيا في قوله[٢٠٠]:

مَاذَا يُرِيدُونَ منها وَهْيَ شَاهِرَةٌ سَـيْفَ الْمَلاحِـمِ لا ترثـي لأهْلِيهَـا

(دست) شباك هلاك تحت زخرفها فمـا تـورط فيهـا غيـر باغيهـا

تُخْفِي الدَّسَائسَ خدعا في بَشَاشَتِها لَكِنَّـهُ بَـانَ لِلإبْصَـارِ خَافِيهَـا

توظيف المعجم الفقهي في غير سياقه[٢٠١]:

إنَ ضِرابا بالصَفَاحِ خَطَهَ تَـرَدَ مَـا قَـاتَ وَتَرْسِـي مَـا هَفَـا

قَدَ انَ لِلأحْرامِ انَ نَحَلَهَ وننحـرَ الهـديَ علـى راس الصـفا

قَدَ انَ للصائمِ وقتَ فِطرِهِ لطالمَـا ارمـض بالصـوم الحشـا[٢٠٢]

قَدَ انَ للوضوء ان نَنْقضَهَ بالسَـافِحِ الثَـائِرِ فِرْصَـادَ الكَلَـى

الشاعر منفعل ثائر على عدو العباد والبلاد ، المحتل الذي نهب وسلب وحرق وقتل ودمر وخرب، لذا يخاطب قومه مناديا بالمقاومة الصارمة ، ويعلن الجهاد لتحرير الأوطان وتطهير البلاد.

---

(٢) دست تعني الحكم أو دست السلطة وهي كلمة فارسية أخذتها العرب وتصرفت بها ينظر : معجم الكلمات الأعجمية والغربية في التاريخ الإسلامي ، عاتق بن غيث البلادي، ص ٤٩ ، دار مكة للنشر والتوزيع، السعودية ط أولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠ م ، والألفاظ الفارسية المعربة ، تأليف أدي شير ، ص ٦٣ ،ط ثانية ، دار العرب للبستاني ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٨ م .

(٣) الديوان ص ٣٠٨ .

(١) الديوان ص ٢٨١ .

(٢) أرمض : أوجع .

ولكنه هنا ينحى منحى مغايرا في التشكيل الفني لرؤيته الشعرية المجاهدة في صراعها العسكري مع الآخر ، حيث وظف المعجم الفقهي في غير سياقه ، وشكل به صورة شعرية تستثير المتلقين ، وتحمسهم للجهاد وحمل السلام وإعلان الكفاح .

وإذا كان الإحرام يمتنع معه القتل - أي قتل- فإنه آن الأوان للتحلل من الإحرام، لتنفيذ مقتضيات التحلل هذا ، بسفك دم الآثمين المعتدين .

وصورته : (وننحر الهدي على رأس الصفا) معبرة أيما تعبير عن قدسية الجهاد، وأن رؤوس أعداء الله والوطن ينبغي أن تقد قربانا لله ، والجهاد هنا فرض عين .

والذين صاموا عن القتال وركنوا إلى الراحة والدعة ، قد آن لهم الإفطار والتخلي عن امتناع القتال ، وقد أن أيضا نقض الوضوء بتخضيب الأيدي المتوضئات بدم العدو الكنود اللدود .

فنحن أمام معجم فقهي تحول لمعجم شعري موح معبر عن تجربة ثائرة ، فجاءت مصطلحات : (الإحرام – التحلل – نحر الهدي- الصائم – الفطر – الوضوء – نقض الوضوء) خيوطا نسجت بها وبغيرها لوحة شعرية عضوية تعبيرية رائعة .

٢- التكرار :

هو تكرار الكلمة أو اللفظة أكثر من مرة في سياق واحد، إما للتوكيد أو لزيادة التنبيه أو التهويل أو للتعظيم أو للتلذذ بذكر المكرر(٢٠٣).

---

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع ، لابن معصوم، ج٥/٣٤-٣٥، تحقيق شاكر هادي شكر مطبعة النعمان ، النجف، ط أولى ، ١٣٨٩ هـ ، ١٩٦٩م.

كما أن التكرار يعد إحدى الأدوات الجمالية التي تساعد الشاعر على تشكيل موقفه وتصويره ولابد أن يعتمد التكرار على ما بعد الكلمة المتكررة حتى لا يصبح التكرار مجرد حشو، فالشاعر إذا كرر عكس أهمية ما يكرره مع الاهتمام بما بعده ، حتى تتجدد العلاقات وتثرى الدلالات وينمو البناء الشعري(٢٠٤).

وسنكتفي هنا بنموذجين شعريين أولهما ذو وظيفة تعبيرية فنية ، وثانيهما ذو وظيفة إنشادية صوفية كورالية بالإضافة إلى الوظيفة الفنية .

أما التكرار للتأكيد المعنوي فمنه قوله : (٢٠٥)

وَمَا كَلَّ طولٍ في الكلامِ بطائِلٍ وَلاَ كَـــلَّ مَقصَـــورِ الكَـــلامِ قَصِـــيَرِ
وَمَا كَلَّ مَنْطوقٍ بَلِيغٍ هدايةَ وَلاَ كَـــلَّ زَحَـــارِ المِيـــاهِ نَمِيـــرَ(٢٠٦)
وَمَا كَلَّ مَوْهُومِ الظُنُونِ حَقَائقَ وَلاَ كَـــلَّ مَفْهُـــومِ التَّعَقُـــلِ نَـــورَ
وَمَا كَلَّ مَرْئِيَ البَصَائِرِ حَجَةَ وَلاَ كَـــلَّ عَقْـــلٍ بالصَـــوَابِ بَصِـــيرَ
وَمَا كَلَّ مَعْلومٍ بحَقَ وَلاَ الذِي تَقَيَـــلَّ عِلْمـــا بـــالأحَقَ جَـــدِيرَ

فقد كرر الشاعر هنا كلمة كل مسبوقة بالنفي، مرة بما النافية (وما كل ...) وأخرى مسبوقة بلا النافية: (ولا كل ...).

وكانت الوظيفية التعبيرية هي زيادة التنبيه على جملة من الحقائق الإنسانية أولها أن الفصاحة والبلاغة ليست في طول الكلام ولا قصره ، ولكنها في بلوغ الغاية في كل، والثانية أن كل كلام بليغ لا تأتي منه

---

(٢) الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي ، مدحت سعيد الجيار ، الدار العربية للكتاب ، والمؤسسة الوطنية للكتاب، ليبيا، ١٩٨٤م ، ص٤٧.
(١) الديوان ص ١٢ .
(٢) الزخار : المعطاء الفياض .

الهداية ، كمان أن كل بئر للسقاية زاخر بالمياه لا يأتي بالماء الزلال، ويستكمل أفكاره وحقائقه موظفا التكرار في ومضاته الشاعرة للإلحاح والتنبيه في بلاغه للناس .

ولا يخفى تكرار الإيقاع الموسيقي حيث ذلك التناغم الإيقاعي بين الجمل والكلمات: وما كل منطوق ..... وما كل موهوم .... وما كل معلوم ... ولا كل مقصور... ولا كل مفهوم .

ولا يخفى كذلك الإيقاع الحرفي في الكلمات المتمثلة في تكرار حرف الكاف في البي الأول اربع مرات، وفي البيت الثاني والثالث والرابع مرتين، وفي الخامس مرة واحدة، ما يعني أنه تكرار موسيقي صاخب عالي النبرة، يسهم في اتساع دائر التلقي، ليصل الصوت الشعري مداه المأمول، فكرا وفنا .

(١) وأما التكرار الصوتي للإنشاد الصوفي في قصيدة عنوانها (هو الله جل جلاله) يقول:[٢٠٧]

هُوَ اللّهُ بسْمِ اللّهِ تَسْبيحُ فِطْرَتِي هو اللّهِ إخلاصي وفِي اللّهِ نُزْعَتِي
هو اللّهِ بسم اللّهِ ذاتِي تَجَرَّدَتْ وهامت بمجلى النور عين حقيقتي
هو اللّهِ بسم اللّهِ ضاءَتْ فأشْرَقتْ بأنْوَار نُور اللّهِ نَفْسُ هَوِيَّتِي
هو اللّهِ بسم اللّهِ في كُلِّ لحْظَةٍ بأسْرَار سِرِّ الْجَمْع جَمْعُ تَشَتُّتِي
هو اللّهِ بسم اللّهِ ذرَّاتُ عَالمِي خَوَاتِمُها بَدْءٌ كَعَالَمِ ذرَّتِي
هو اللّهِ بسم اللّهِ هَبَّتْ فُشَاهَدَتْ بُرُوقَ جَلالٍ مِنْ أنَا اللّهِ غَيْبَتِي

(١) الديوان ص ٤٢ .

هو اللّهّ بسم الله شَاهَدْتُ إسْمَهُ فُتَاهَـــتْ بأفْنَـــاءِ الْفَنَـــا آنِيَّتِـــي

فقد تكررت جملة (هو الله بسم الله) ستا وستين مرة هي عدد أبيات القصيدة ، فقد سار الشاعر على النسق القرآني في التكرار، ويتضح ذلك في كلام رب العالمين في قوله تعالى : (هُوَ اللّهُ الَّذِي لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ(٢٢) هُوَ اللّهُ الَّذِي لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ(٢٣) هُوَ اللّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(٢٠٨).

الذي ينم عن صدى واضح لتأثر الشاعر بالأسلوب القرآني، بما فيه بناء أسلوبي وعباراتي .

وعلى مستوى الإيقاع الموسيقي بين الجمل نجد تكرار التماثل الإيقاعي بين الكلمات : تجردت ... فأشرقت ، لحظة ... تشتتي .

والتكرار في قوله : ضاءت فأشرقت ، بأنوار نور ، بأسرار سر الجمع جمع ، بأفناء الفناء، بما في التكرار من موسيقى إضافية للجناس الصوتي بين الكلمات كما هو واضح للعيان .

وقد نشأ عن تكرار بعض الأصوات إيقاع موسيقي وأكثرها تكرارا صوت التاء، وهو حرف انفجاري يدل دلالة واضحة عن تنفيس الشاعر عن دفقة روحانية صوفية محتجزة داخله، فجاءت الفرصة ليخرجها على هذه الصورة الرتيبة في الجمل والألفاظ والتناغم الموسيقي الداخلي والخارجي على السواء، وحلقات الصوفية في لحظات الذكر الجماعي تسعفها هذه الجمل الشعرية المتكررة ، وبخاصة المجموعات الملتفة حول المنشد الرئيس في الحلقة .

---

(١) الحشر ٢٢/٢٤ .

كما أن وظيفة التكرار الفنية في هذه الأبيات التلذذ بذكر اسم الله العظيم الجليل مع أسمائه الحسنى وصفاته العلى .

وفي قصيدته (الله جل جلاله) التي مطلعها[٢٠٩]

ببابك يا اللهَ عبدك مخبت تعلقه باللهَ من كل وجهة

جملته الشعرية (تعلقت بالله) تكررت ثمانية وأربعين مرة ، ولكن في كل تكرار يذكر اسما جديدا من أسماء الله الحسنى ، على نحو :

تَعَلقتَ باللهَ الذي لا إلهَ لِي سِوَاهَ ولا ضَاعَتْ لدَيهِ عَبودَتِي

تعلقت باللهَ العليم بمَوْقِفِي ومَا انَا فيه مِنْ ضَرَوبِ البَلِيَّةِ

تعلقت باللهَ العظيم الذي جَرَتْ مَقَادِيرَهَ دَونَ اخْتِيَارِ البَرِيَّةِ

تعلقت باللهَ اللطيفِ بخَلقِهِ وهذَا هَدى مِنْهَ لِنَفْعِي وخَيْرَتِي

وظاهرة التكرار الصوتي الإنشادي تتكرر في الديوان كثيرا حتى شملت ٨٢ صفحة[٢١٠].

٣- بديعيات موسيقية ومعنوية :

استعان البهلاني في تشكيل رؤاه الشعرية بالموسيقى الملحقة لدى الدارسين بالبديعيات ، ضمن الدراسات الأسلوبية ،وهي في الواقع الفني جزء من الإيقاع ، ومفردة من المفردات الموسيقية .

" إذ يشيع الإيقاع في الصّورة الشعرية نوعا من الاتساق والمساواة فيها، مما يتناسب مع الحالة النفسية، وهذا بدوره يكسب الصورة الأدبيّة حيوية، تنسجم مع حيوية الإنسان في تكوينه التركيبي، الذي يقوم على النظام والاتساق الجميل، ويتلاءم مع ما يبغيه في

---

(٢) الديوان ٤٥

(١) الديوان ص ٤٣- ١٢٦ .

تصرفاته من الانسجام والتوافق في كل أموره في الحياة... كل ذلك في إيقاع رتيب، يصدر عن الإنسان المستقيم في طبعه وذوقه، المعتدل في تفكيره وخلقه، فينجذب بعقله وعاطفته إلى نظائره من الأشياء والمخلوقات، التي تقوم على نظامه واتّساقه وغيرهما من الأمور التي ركّبت على مثاله في خلقه وخلقه. ومن هذه الأشياء الصّورة الأدبيّة في إيقاعها وموسيقاها الدّاخليّة والخفيّة"[٢١١].

وسنكتفي هنا بالترصيع والجناس وحسن التقسيم ، ومنها في شعره[٢١٢].

هُـمْ أجْـدَبُوا سَوحَهُمُ مِنْ وفْرِهِمْ وهُـمْ لِأرْضِ اللهِّ غَيْـثٌ وَحَيَـا[٢١٣]

هُـمْ أنْضَبُوا غُـدْرانَهُـمْ بجُودِهِمْ وَفَجَّروا في النـاس يُنْبُوعَ الْغِنَى[٢١٤]

هُـمْ وَسَّـعُوا الْكَوْنَ حُلُوما وَهُدَى وَصَـائلا ونـائلا ومجْتَـدَى[٢١٥]

هُـمْ أمْجَـدوا وانْجَدوا وأوْجَدوا وأفْقَـدوا وطوَّلـوا البـاعَ الْـوَزى

هُـمْ جَـرَّدوا وشَـرَّدوا وطَـرَّدوا وأوْعَـدوا وأوْرَدوا بَحْـرَ الجـدى

ففي البيتين الأول والثاني حسن تقسيم موسيقى ، توزع فيها الشطران الموسيقيان وحدات موسيقية متساوية في الإيقاع ، أو في القالب الموسيقي على النحو التالي :

---

(١) البناء الفنّي للصّورة الأدبيّة في الشّعر الدّكتور عليّ عليّ صبح،، ط٢، المكتبة الأزهريّة للتّراث، سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص: ٢٥٨.
(٢) الديوان ص ٢٨٢ .
(٣) السُّوح : جمع الساحة، مكان فسيح واسع .
(٤) أنْضَبَ الشيء : جعله ينقضي وينفد ، والغدران : جمع الغديرأي : النهر الصغير
(٥) الحُلوم : جمع الحِلم .

الأول : هـم أجـدبوا /٥//٥/٥ – سـوحهمو /٥///٥ – مـن وفـرهم /٥//٥/٥ ...

الثـــــاني : هـــم أنضـــبوا /٥//٥/٥ – غـــدرانهم /٥//٥/٥ – بجودهم//٥//٥...

وفي البيت الثالث جاء الترصيع بالحرف والتنوين معا : وصائلا – ونـائلا ..

وفـي الرابـع جـاء الترصـيع ممتـدا بـين الشـطرين فأحـدث فـي الموسـيقى تكـرارا فـي النغمـة ممتـدا ضـعف النغمـة فـي البيـت السـابق : أمجدوا - وانجدوا - وأوجدوا – وأفقدوا – وطولوا .

ومثلها نغمة ممتدة في البيت الأخير : جردوا - وشردوا - وطردوا – وأوعدوا – وأوردوا .

ومن الترصيع بالتنوين والحروف معا قوله:(٢١٦)

مُجَـــرَّسٌ مُضَـــرَّسٌ مُمَـــــارَسٌ يَمْتَرِسُ الْخَطْبَ إِذَا الْخَطْبُ شَحَا (٢١٧)

مُحْتَمِشـــا مُضْطَغِنـــا صَمْصَـــامَةَ يَحُـوشُ أَكْـدَاسَ الرِّعَـالِ كَالْقطـا(٢١٨)

ففي البيت الأول ترصيع بالسين والتنوين معا : (مجرس مضرس ممارس) .

وفي الثاني : بالتنوين فقط : (محتمشا مضطغنا صمصامة) .

---

(١) المجرس : المحنك الخبير، والمضرس : المجرب المحكم، وامترس بالعمل : احتك به، شحا : زاد واتسع .
(٢) الديوان ص ٢٧٨ .
(٣) المضطغن : الحقود، صمصامة : ماض في أمره بعزيمة وإرادة، والأكداس: الأكوام الكثيرة جدا، والرعال: جمع رعيل .

ومن حسن التقسيم الموسيقي قوله[٢١٩]:

نـــُورٌ بَوَاطِنُهُـْم نـــور ظواهرهم نــور خلائقهــم فــي الفعــل والخبــر

فحسن التقسيم هنا أحدث موسيقى تطريبية تمتع القارئ والسامع معا :

نورن بواطنهم مستفعلن فعلن .
نورن ظواهرهم مستفعلن فعلن.
نورن خلائقهم مستفعلن فعلن .
في الفعل والخبر مستفعلن فعلن .

ولعلك تجد ارتباط الموسيقى في النص متناغمة مع الفكرة والعاطفة وطبيعة الخطاب الشعري وتناغم الشاعر مع المتلقي، " فإن خير الموسيقى ما تتماشى مع الأفكار، وتتساوق مع المعاني، وتتجاوب ألوان نغماتها ونبراتها مع حالات النّفس، فالشاعر في اهتياجه وغضبه وغيظه يكون تعبيره الموسيقي عالي النّغمة، وفي حزنه يكون منخفضها، وفي تعجّبه وفرحه وهدوئه واطمئنانه تكون المسافات الصّوتيّة قصيرة، وأمّا في بثّه وألمه فتكون مسافات الصّوت طويلة، وهكذا تساير النّغمات حالات النّفس، كما تساير موضوع القصيد وفكرته[٢٢٠].

ولعل القارئ الكريم يلاحظ في الأبيات السابقة أن الشاعر زاوج بين البعد الموسيقي التطريبي وبين التضاد (الطباق) الفني التعبيري: (نور بواطنهم / نور خلائقهم) إذ عبر التضاد عن شمولية النور وعموميته في الصالحين العابدين العاملين .

---

(٤) الديوان ص ١٧
(١) الشّعر المعاصر على ضوء النّقد الحديث ، مصطفى عبد اللّطيف السّحرتي، ط٢، مطبوعات تهامة، جدّة، المملكة العربيّة السّعوديّة، سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص: ١١٣.

ومن الطباق التعبيري العضوي قول البهلاني:[٢٢١]

تَعَلَّقْتُ بِاللهِ الْخَبير بوَهْلَتِي إلَيْـهِ وَإخْبـاتِي وَرَهْبـي وَرَغْبَتِـي[٢٢٢]

وحـالات العابـدين فـي طـريقهم إلـى الله تعتورهـا أحاسـيس شـتى ومقامات متنوعة ، فهي - لدى شاعرنا – العابد الصوفي فزع واطمئنـان ، وخوف ورجاء ، تلك التي احتواها وعبر عنها أسلوب الطباق .

٤-الاقتباس والتضمين (التناص) من القرآن والسنة :

يكسـب التنـاص مـن القرآن الكريم الخطاب الشعري مصداقية وتميزا والشاعر عندما يستدعي القرآن الكريم، إنما يسـتدعيه بوصـفه جـزءاً من البنية الدلالية للنص الشعري، فالإشارات القرآنـية ترتـبط مع النص الـ شعري عضوياً وبنيوياً ودلالياً ، وهذا تنويع جديد على نفس الموقف يؤكد أن العملية ليست مطلقاً مجرد عملية اقتباس، وإنما هي عملية تفجير لطاقات كامنة في النص يستكشفها شاعر بعد آخر، وكل حسب موقفه الشعري الراهن[٢٢٣].

فالشـــــاعر في توظيفه للتراث لا يسعى إلى الاستعانة بحقائق التاريخ ومضامينه فحسـب، ولكنـه يعمد إلـى المضامين البارزة فيه، فيمنحها بعداً عاماً يجعلها تتجاوز عصرها، ويحقق لها قدرة التواصل الحي مع العصر الراهن، لتبرز بسماتها المميزة كمـا كـانت في عصرها[٢٢٤].

---

(٢) الديوان ص ٤٥ .
(٣) الوَهْلة المرَّة من الفزَع والإخبات : الاطمئنان .
(١) الشعر العربي المعاصر، عز الدين إسماعيل، المكتبة الاتحادية، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٣٦ .
(٢) أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، علي الحداد، دار الشؤون الثقافية أفاق، بغداد،ط،١٩٨٦م ص ٨٠ .

يقول البهلاني:[٢٢٥].

هلـــم فلنحـــذو حـــذو ســـعيهم فلـــيس للإنســـان إلا مـــا ســـعى

هذا البيت من جملة أبيات تتناول أمجاد الأسلاف ، لدفع الجموع المتلقية من المسلمين المعاصرين للشعر وفي زمانه ، إلى التأسي والاقتداء بالأجداد ، حتى يتمكن المعاصرين من تقديم منتج حضاري كما قدم الآباء ، للعالم كله.

ولذا جاء الشطر الثاني في البيت مقتبسا أو متناصا مع آية قرآنية تتحدث عن أن الحصاد لمن زرع ، والفلاح لمن اجتهد ، في قول الله تعالى (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى)[٢٢٦].

ويقول في سياق شعري آخر[٢٢٧].

جـــاء والمعيـــة تلـــوى مـــعيَهُ فـــامترى ثـــم (تعـــاطى فعقـــر)

أصبـــح المطـــــران والمســـلم في غمرها (إعجاز نخل منقعر)

ربمـــا ضـــاق علـــى حيلتنا أعقـــب الفـــتح (كلمـــح بالبصـــر)

في إحدى قصائده التي يبرز فيها الحضارة الإسلامية في صراعه مع الآخر، في المؤتمر المنعقد للمصالحة بين المسلمين والأقباط في مصر سنة ١٩١١ م يتحدث عن الإخاء والأشياء المشتركة بين عنصري الأمة المصرية، وهو هنا يتحدث عن المستعمر وطريقته التي ينتهجها في زرع الفتنة بين أبناء الوطن الواحد.

---

(٣) الديوان ، ص ٢٨٣ .
(١) النجم /٣٩ .
(٢) الديوان ص ٢٨٩ .

وجاءت الاقتباسات القرآنية إضاءات بين زوايا النص، توضح معالم الصورة الشعرية التي تجسد دموية الاستعمار الإنجليزي وقتها الآية الأولى في قول الله تعالى (فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ)[٢٢٨]، والثانية من قوله تعالى (تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ)[٢٢٩]، والثالثة من قوله تعالى: (وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ)[٢٣٠]. وفي حوار حضاري آخر يقول:[٢٣١]

تعبَّدَ حتَّى أتاه اليقينُ فذابتْ له الأنفسُ العابده

وزُلْزِلتِ الأرضُ زلزالها وضاقتْ بأجزائها هامِده

البيتان ضمن قصيدة يرثي فيها أحد العلماء[٢٣٢]، ويرصد فيما يرصد جوانب الصلاح والتقوى في الفقيد الراحل، ولذا جاء التناص مع آيات قرآنية تضيء المشهد الشعري، وتزيده مصداقية ومقدرة على تصوير الشخصية في صورة حقيقية عابدة زاهدة.

وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ[٢٣٣] والثانية من قوله سبحانه إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا[٢٣٤].

ويقول في منطقة أخرى[٢٣٥]:

إنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ ضَعيفا وَدَوَاهِي النَّفوسِ لا تَتَضَاهَى

---

(١) القمر / ٢٩ .
(٢) القمر / ٢٠ .
(٣) القمر / ٥٠ .
(٤) الديوان ٣٤٤ .
(٥) الشيخ العلامة أحمد بن سعيد .
(٦) النحل / ٩٩ .
(٧) الزلزلة / ١ .
(٨) الديوان ص ٣٧٦ .

هذا البيت ضمن أبيات من مقدمة قصيدة يمدح فيها الشيخ محمد بن يوسف المغربي، تتحدث المقدمة عن مقاومة النفس الأمارة بالسوء والشيطان الرجيم، في الطريق الطويل إلى الله، فجاء البيت جزءا من قول الله تعالى (فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا)[٢٣٦].

ومن شواهد التناص مع البيان النبوي المحمدي قوله:[٢٣٧]

أَشِعَّةُ الْحَقِّ لا تَخْفَى عَنِ النَّظَرِ وَإِنَّمَا خَفِيَتْ عَنْ فَاقِدِ الْبَصَرِ

نَادَى الْمُنَادِي بِها بَيْضَاءِ نَيِّرَةٍ حَنِيفَةٍ سَمْحَةٍ لَمْ تَعْيِ بِالفِطَرِ

خَيْرُ الْقُرونِ قَرِينُ الْمُصْطَفَى وَكَذَا حُكْمُ الْقَرِينَيْنِ لا يَنْفَكُّ مِنْ أَثَرِ

في استحضاره للتراث الإسلامي يتناول الشاعر التاريخ النبوي والصحابة الأخيار، ليحث المعاصرين على أن ينهجوا نهج السابقين الأولين، في إطار صراعه المتعدد الجبهات مع آخرين ، فكان طبيعيا أن يكون البيان المحمدي جزءا من الرؤية، ونسيجا من أنسجتها التعبيرية ، فكان هنا نسيجان من حديثين، أولهما " قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلاَّ هَالِكٌ"[٢٣٨] والثاني قوله:(ﷺ)" خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم[٢٣٩].

٥- استيحاء التاريخ العربي والإسلامي (التناص):

---

(١) النساء / ٧٦ .
(٢) الديوان ص ١٧.
(٣) أخرجه ابن ماجه (رقم ٤٣)، وابن أبي عاصم في (السنة) (رقم ٤٨)، والطبراني في (الكبير) (٢٤٧/١٨) عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي ، أنه سمع العرياض بن سارية قال وعظنا رسول الله الخ .
(٤) أخرجه البخاري (٢٥٣٠) ومسلم (٤٧٠٦) من حديث عبد الله بن مسعود .

١ـ الدعوة المحمدية يقول:[٢٤٠]

وَآمَنَتْ برَسُولِ اللهِّ طائِفَةٌ أعْطاهُمُ السَّبْقَ فِيهِ سابقُ الْقدَرِ

زَكَّى قُلُوبَهُمُ النُّورُ الْمُبِينُ كَمَا يَزْكُو النَّبَاتُ بمَا يَلْقَى مِنَ الْمَطَرِ

لاقى صُدُورَهُمُ الإيمَانُ فانْشَرَحَتْ لَهُ وَقامُوا بِهِ فِي عَزْمِ مُنْتَصِرِ

تَأزَرُوا شُعَبَ الإيمانِ وانْتَبَهوا بَيْنَ الْجِهَادَيْنِ مِنْهُمْ أنْفُسُ الْعُمُرِ

فَمَاتَ عَنْهُمْ رسولُ اللهِّ عُدَّتُهُم كالأنبياءِ عُدُولث الْحُكْمِ والسِّيَرِ

تتناول الأبيات التربية الدعوية الإسلامية للصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ إذ آمنوا بالدعوة والداعية ، بالرسالة ورسولها (ﷺ)، وهم السابقون السابقون ، ملأ النور منهم الأفئدة ، فشربوا النور وكانوا الضياء ، وانشرحت صدورهم بالإيمان ، فقوي إيمانهم ، وقويت شكيمتهم ، واشتدت عزيمتهم ، وآزروا الدعوة والداعية ، فكانوا منتصرين ، واعتصموا بحبل الله تؤازرهم شعب الإيمان ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، وقضوا أعمارهم النفيسة في الجهادين الأصغر والأكبر، وما مات عنهم نبي الإسلام إلا وهو عنهم راض تمام الرضا ، وكانوا من بعد النبي محمد (ﷺ) نموذجا للعدل يمشي على الأرض

والشاعر حينما يستلهم هذا التاريخ إنما يستحضر القدوة أمام المعاصرين ، يعطيهم شحنة تقويهم في جهادهم للأعداء ، وفي ممارسة العدل والتناصح به ، وفي السير على نهج النبي (ﷺ) وصحابته الأطهار ، والتأسي بهم في القيم التي طرحها النص الشعري .

استلهام الأشخاص والمقولات

---

(١) الديوان ص ١٧ ـ ١٨ .

وكانت شخصية الفاروق عمر (ر) حاضرة في بعدها العادل ، ومنه قوله:[٢٤١]

قــدِ اهتزَّتِ الأكــوانُ وارتعدَ المَلا لقتْـــلِ إمـــامٍ قـــامَ للهّ فيصَـــلا

على ســـيرة الفاروق عدلا وحكمة يســـير بهـــا للهّ لـــيسَ لمـــا خَـــلا

وقام بقسط اللهّ في أهل أرضه بخارقـــة مـــن أمـــره تعجـــز المـــلا

علـى سُـــنة ذا همَّـــة مشمخرة لإظهـــار حكـــم اللهّ حتـــى تهلـــلا

القصيدة في رثاء الشيخ الفقيه راشد بن سليم الغيثي رحمه الله، ويبدو من خلال النص أنه مات شهيدا، ويتحدث الشاعر في رؤيته الشعرية عن عدل الفقيد ، ولن يجد لبنة تراثية يضيء بها جنبات النص أفضل من عدل الخليفة عمر(ﷺ) .

كما استلهم شخصية الخنساء في قوله[٢٤٢]:

أرى صنعـــاء كـــاســـفة النواحـي وكانـــت منـــك زاهـــرة الجبـــين

حـــدادك أيهـــا الثكلـــى مليـــا ونوحـــك نـــوح ورقـــاء الغصـــون

فقـــد أضنـــاك يـــا (خنســـاء) حزن وعنـــدي مـــا لـــديك فأســـعديني

إن الشاعرة المخضرمة (عاشت في الجاهلية والإسلام)، الخنساء لها خلفيات تاريخية عن رثائها لأخيها صخر ، وباتت وفنها الشعري الرثائي عنوانا يلج المبدعون من خلاله إلى عالم فسيح متميز فكرا ومضمونا .

---

(١) الديوان ص ٣٦٠ .
(٢) الديوان ٣٥١

ومن هنا جاءت لبنة عبر بها البهلاني عن كل الذين بكوا الشهيد الفقيد الراحل، وها الاستيحاء الفني أثرى التجربة، وأضاف إلى التعبير قوة ووضوحا وبيانا.

التناص مع الأمثال العربية والأشعار:

فمن المثل العربي بلغ السيل الزبى ، في قول البهلاني[٢٤٣]:

جاس البلاد بالبلاء طاميا فبز حتى بلغ السيف الزبى

في كلامه عن الممارسات الظالمة التي يرتكبها المستعمر المحتل ضد أصحاب الأرض وأهل الوطن، يكون التناص مع المثل العربي إضاءة كثفت الدلالة وقوت التعبير، وأصل المثل (بلغ السيل الزبى)[٢٤٤]، كما أنه في سياق الصراع الحضاري العسكري يوظف المثل العربي (تفرقت أيدي سبا) في قوله:[٢٤٥]

أحزابه النصر فإن تحزبت أعداؤه تفرقت أيدي سبا[٢٤٦]

كما أحدث الشاعر علاقة تناصية مع نصوص شعرية قديمة ، منها التناص مع شعر الشنفرى في لاميته المشهورة ، يضمن بيتا منها في قوله[٢٤٧]:

---

(١) الديوان ص ٢٧٧

(٢) وجاء بصيغة (بلغ الماء الزبى) ويروى الربى – بالراء –.ينظر: كتاب الأمثال لزيد بن رفاعة الكاتب ص ٤٧ ، دائرة المعارف العثمانية ، بحيدر آباد الدكن،١٣٥١ هـ .والمثل يضرب مثلا للأمر يبلغ غايته في الشدة والصعوبة، والزَّبْيَةُ : تحفر في نشز من الأرض، وتغطى ، ويجعل عليها طعم ، فيراه السبع من بعيد ،فيأتيه ، فإذا استوى عليها انقض غطاؤها ، فيهوي فيها ، فإذا بلغها السيل فقد بالغ .انظر: جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري ج١ص ١٨٠، تحقيق الدكتور أحمد عبد السلام، وزميله، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط أولى ١٤٠٨ ه – ١٩٨٨ م .

(٣) الديوان ص٣٩٠ .

(١) تفرقوا أيْدِي سَبَا، ويروى أيَادِي سَبَا هو من أمثال العرب، وأصله : أن أهل سبأ بن يشجب لما أنذروا بسيل العرم خرجوا من اليمن متفرقين في البلاد ، فقيل لكل جماعة تفرقوا : ذهبوا أيدي سبا . ينظر: المستقصي في أمثال العرب للزمخشري ٢/٨٨-٨٩ . دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الثانية : ١٩٧٠م.

تصدر أقوام على عرش مجدنا وما ذاك إلا للقعود عن الجِدِّ

وكنا سراج المجد قبل خمودنا فلا كان من أمجادنا آخِرَ العهد

(أقيموا بني أمي صدور مطيكم) فلسنا إلى غور نسير ولا نجدِ

نضحي بروح المجد في سُبل عارنا نكستُ لها رأسي حياء من المجدِ

فقد تناص مع بيت شعري للشاعر الجاهلي (الشنفرى) من لا ميته المشهورة في قوله[٢٤٨]:

أقيموا بَني أمّي صُدورَ مَطِيَّكُم فإنّي إلى قومٍ سِواكُم لأمَيلُ

أوجد البهلاني بهذا التناص حالة مشابهة في السياق التاريخي ، بين موقف الشنفرى النفسي مع قومه ، والموقف النفسي لشاعرنا مع بني أمته في الوقت الحاضر، لفإن ما قدمه أفراد الأمة من عطاء حضاري ، لم يكن على الدرجة نفسها من طموحات البهلاني ، لأنه أراد نهضة علمية وأراد ثورة على ظلم الاستعمار .

وتتماس الصورة الشعرية البهلانية مع الصورة التراثية الناصعة من معلقة أمير الشعر الجاهلي امرئ القيس ، يقول شاعرنا[٢٤٩]:

فقم سيد العرفان والجهل عامر وقد لويت فوق القيود قيود

أتتركنا (والليل مرخ سدوله) وما بيننا هاد إليه نهود

ويتناص مع قول امرئ القيس:[٢٥٠]

---

(٢) الديوان ص ٣١٢ .
(٣) ديوان الشنفرى ،جمع وتحقيق : الدكتور إيميل بديع يعقوب ، ص ٥٨ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ثانية ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .
(١) الديوان ص ٣٢٤.

ولَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أرْخَى سُدُوْلَـهُ عَلَـيَّ بأنْـوَاعِ الهُـمُوْمِ لِيَبْتَلِـي[٢٥١]

إن الصورة التي رسمها الشاعر الجاهلي لليل تعد عنوانا في بابها ، وتصبح لبنة من تشكيليات الصورة البهلانية الحديثة ، والتشبيه التمثيلي ، في الصورتين امتداد وتكثيف في الدلالة على النفسية المكروبة عند الشاعرين في العهدين الإبداعي ، القديم والحديث .

ومن شواهد التناص مع المثل قول البهلاني[٢٥٢]:

وحسبك يا فجار من المساوي رحاك المستديرة في القرون

أريني أين هم فلديك خبر جهينة خبرينا باليقين

يتناص مع المثل العربي (وعند جهينة الخبر اليقين)[٢٥٣]، وهو مثل يضرب لمن يعرف أن الخبر الأكيد عنده وليس عند غيره. ذلك أن المثل : قول سائر يشبه مضربه بمورد، أو يشبه فيه حال المقول فيه ثانياً بحال المقول فيه أولا[٢٥٤].

---

(٢) ديوان امرئ القيس ص ١١٧ ، ضبط وتصحيح ، الأستاذ مصطفى عبد الشافي، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٣) أرخى سدوله: أسدل ستائره، ويريد بها ظلماته، ليبتل : ليختبر ما عندي من الصبر، أو الجزع .

(٤) الديوان ص ٣٤٧ .

(١) وقصة هذا المثل : فيحكى أنه كان هنالك رجلان أولهما أسمه (حصين) واسم الآخر (جهينه)، اتفقا على قطع الطريق وسلب الممتلكات ففعلا ذلك، ثم اختلفا، فغدر جهينة بالحصين فقتله، ولما طال غياب حصين عن زوجته وأولاده جاءت تسأل جهينة عن حصين فأخبرها بأنه قتله لكنها لم تصدق واستكثرت عليه أن يفعل ذلك، وذهبت تسأل القوافل عنه والناس فأنشد جهينة : وتسأل عن حصينٍ كل ركبٍ وعند جهينة الخبرُ اليقينُ

(٢) الشعر الجاهلي : الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، ص١٤٤، ط٢، بيروت: دار الكتاب اللبناني ١٩٧٣.

التعبير بالمصطلح النحوي

- سعى البهلاني إلى توظيف دلالات الأفعال (لعل) و(عسى) في قوله:[٢٥٥]

تلك الرفات طينة صالحة لغارس وحارث ومن بنى

أتبحثون بينها عن عزة أوفي لعل فرجا أوفي عسى

يلقي شاعرنا باللوم على من تغنى بميراث الأجداد من المجد والوُدد، بينما حاضر الأبناء خال من تلكم الطموحات التي حقق بها الآباء والأجداد سؤددهم، فجاء الفعلان (لعل) و(عسى) يستعين الشاعر بدلالتهما لإدانة الراجين مجدا ولا يقدمون له الأسباب، أو يتمنون مكانة سامقة وهم يخلدون إلى الدعة والراحة.

ثم هو يوظف مصطلحي (النصب) و(الجر) في قوله:[٢٥٦]

كم لنا نتقن درسا واحدا وهو كون الدهر ذا (نصب وجر)

يريد القول: إن الحياة لا تدوم على حال، ولكن شأن الإنسان فيها بين ارتفاع وانخفاض، ولكنه للتندر في التعبير استعمل مفردتي (النصب والجر).

ومن الأساليب التقليدية الموروثة من القرن التاسع عشر والعصور السابقة عليه، التأريخ بالشعر في مثل قوله[٢٥٧]:

سقى ذاته من ربه صوب رحمة ولاقاه بين المصطفين خلود

إلا في ربيع الآخر الحزن فاحسبوا (فهذا لتأريخ الوفاة مفيد)

---

(٣) الديوان ص ٢٨١ .
(٤) الديوان ص ٢٨٨ .
(١) الديوان ص ٣٢٧ .

وكان يؤرخ لوفاة أحد المشهورين ، في ربيع الآخر سنة ١٣٢٢ هـ .

ثالثا: التصوير الفني لمعالم الحضارة :

تعد الصورة الفنية في الشعر عنصرا رئيسا في النص الشعري، وهي تجيء في قمة الهرم التشكيلي للقصيدة، ذلك الذي يبدأ من المعجم والصياغة والأسلوب، وكما قال الجاحظ " إنما الشعر صناعة وضرب من الصبغ وجنس من التصوير"(٢٥٨).

ولذلك يأتي تناولها بالدراسة والتحليل الفني في النص الشعري من الأهمية بمكان نتوخى تكوينها ووظيفتها في التعبير عن معالم الحضارة بين الحوار والصراع. لأن نجاح الشاعر وفشله قرين بما يتمتع به من قدرات تصويرية تمكنه من نقل تجاربه وأحاسيسه إلى المتلقي بواسطة ملكة الخيال(٢٥٩).

والبهلاني بداية قد استعان بالصورة الشعرية في حواره الحضاري وصراعه مع الآخر، وشكلها بالطريقة العربية المألوفة من الحقيقة والمجاز، ومن الطريق البياني الأصيل التشبيه والاستعارة والكناية، واستعان بالقرآن الكريم والبيان النبوي والمصادر الإسلامية الأخرى ، واسترفد عناصر صوره كذلك من البيئة من حوله ، سواء المكانية منها أو الثقافية النوعية المتخصصة .

فلنقم باختيار صورة شعرية كلية، تحاور الآخر وتصارعه، تصويرا للحضارة الإسلامية ومعالمها، ومنها قوله(٢٦٠):

هــزتِ العــالَــمَ أدْوارُ البشـــــر ينقضـــى الـــدور بـــأدوار أخَـــرْ

---

(٢) الحيوان الجاحظ: ٣/ ١٣٢ ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، ط ثانية ، مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٨٥ ه – ١٩٦٥ م .
(٣) الصورة الفنية في شعر مسلم بن الوليد، د/ عبد الله التطاوي: ص ٨ - دار غريب ٢..٢م - القاهرة.
(١) الديوان ص ٢٨٧ .

كـــلُّ دورٍ رقـــصَ الـــدهـــرُ لـــه ضـــايقَ العـــالِمَ وارتـــادَ القمـــرْ

أيُّهـــا العـــالـــمُ ســـعْها جلـــدا إنَّ نصـــفَ الليـــلِ يتلـــوه السَّـــحَرْ

مَنْ كفيلُ الكشـفِ عـنْ موضوعهم؟ هـــل لـــه مُسْـــتَوْدَعٌ أوْ مُسْـــتَقَرْ؟

يُســـقط الهـــزُّ علينـــا كســـفا ثـــمَّ لا يلبـــثُ إســـقاطَ الحَجَـــرْ

رُبَّمَـــا أشْـــهدُ ظبيـــا كانســـا دَبَّ فيـــه الـــدورُ فاصـــطادَ النَّمِـــرْ

يا بنـــي الإنســـانِ هـل من عَزْمِكُمْ دَفْـعُ مـا يجْـري بـه حُكْـمُ القـدرْ؟

مـــا تقـــرون علـى مألـوفكـم كـلَّ مـا يُـع}جِزكُمْ عَـيْنُ الـوطرْ

لـــو نَغَـتْ ناغِيَـــةٌ فـــي زُحَـــلٍ كانـــتِ الهَـــمَّ لَكُـــمْ أو تعتقـــر

هِمَّـــةٌ عـــاليـــةٌ أمْ نهمـــــــةٌ أم شرور النفس ترمي بالشرر؟(٢٦١)

هذه صورة كلية ترسم الدور الإسلامي في حضارات العالم، وتناوب الحضارات الإنسانية في أداء دورها للإنسان، كل حسب جهده وانفتاحه على العالم.

غير أن بعض القوى الدولية ممن لا يتسع صدرها للحضارات والثقافات الأخرى، توظف بعض الأقليات في زعزعة أمن الأوطان واستقرارها، حتى تضمن استمرار احتلالها لمناطق الشرق الأوسط، ومنه ما حدث في مصر، من اغتيالات لشخصيات وتأجيج الفتنة بين أبناء الوطن الواحد.

---

(١) معاني المفردات : الكِسْفةُ: القطعة من الشيء. يقال: أعطني كِسْفةً من ثوبك؛ والجمع كِسْفٌ وكِسَفٌ ، والوَطَرُ: الحاجةُ، ولا يبنى منه فعلٌ، والجمع الأوطارُ، والنَّغْيةُ من الكلام والخبر: الشيءُ تَسمعه ولا تفهمه، وقيل: هو أوَّل ما يبلغك من الخبر، وزحل : كوكب من الكواكب.

والشاعر في خطابه الشعري أبدع صورة كلية من خلال جملة من الجزئيات، شكلت لوحة للأطماع الاستعمارية في مصر.

فبدأ بالصورة المعتمدة على تجسيم المجردات (هزت العالم أدوار البشر) واختار الفعل (هز) ليبين به أثر العطاء في العالم، ثم أردف التجسيم بجملة خبرية تقرر حقيقة تاريخية: (ينقضي الدور بأدوار أخر) مفادها أن الحضارات تتعاقب فيما بينها في المهمة والوظيفة،ولا تنهي حضارة حديثة حضارة أقدم منها، والفعل ينقضي دلالة على أداء المهمة الحضارية مع استمرار وجودها على مستويي الأسس والمعالم ، وكان بإمكانه استعمال الفعل (ينتهي) ولن يؤثر في الوزن آنذاك ، ولكن دلالة الانتهاء تغاير دلالة الانقضاء ، فالأولى نهاية للعدم والتلاشي ، والثانية أداء دور مع استمرار المقدمات والنتائج .

ثم تأتي الصورة التشخيصية تؤدي دورها في اللوحة (كل دور رقص الدهر له) استعارة مكنية في الفعل رقص، ومن الذي رقص ؟ ؛ إنه ظرف كل الحضارات (الدهر) ولماذا رقص ؟ ابتهاجا بكل الحضارات، ولم يفرح لحضارة دون أخرى، وإنما أسعده (كل دور) عموم وشمول ، على أن بعض معطيات الحضارة استغلت في الدمار الشامل كالسلاح النووي ، (ضايق العالم) وبعضها ساعد البشرية في اكتشاف الآفاق (وارتاد القمر).

ثم يوظف شاعرنا الصورة في خطابه للعالم من حوله : (أيها العالم سعها جلدا) التعبير عن المعقول (أدوار الحضارة) بالمحسوس (المكانية) ، ويردفها بصورة عقلانية هادئة: (إن نصف الليل يتلوه السحر) كناية عن بزوغ فجر الأمل، وانقشاع سدفات الظلام بأنوار شمس

النهار، ولا تدوم حضارة ضاغطة على أخرى مستضعفة، وليست بالضعيفة .

وفجأة يطلق مطلبه في قضيته العادلة، من يستطيع الكشف عن مدبري الفتنة ومحركيها، (من كفيل الكشف عن أوضاعهم؟)، استفهام يحمل شحنة غضب وإدانة لكل الذين في قلوبهم مرض، يتبعه سؤال عن نهاية الفتنة: (هل له مستودع أو مستقر؟) .

ثم تأتي الصورة المتراكبة الممتدة من الاستعارة التمثيلية في البيت الخامس (يسقط الهز...)، تعرب عن نتائج الفتنة من عراقيل جمة وقضايا طائفية تشغل الرأي العام فتلهيه عن النزوع إلى الحرية والاستقلال، والمعوقات شأنها شأن القطع الحجرية المتساقطة على الرؤوس من عل، وما (الهز) إلا معادل موضوعي للتعبير الخبيث والتخطيط الحقير، الذي يمارسه الاحتلال الإنجليزي ضد مصر وغيرها من البلدان التي تعاني من ويلاته.

"وقد وجد البهلاني في أسلوب التمثيل ما يلبي نزوعه إلى المطلق، في مجال استخدامه اللغة ... وكان التمثيل أداة طيعة بيده ليمتد إلى أقصى ما تحتمله الكلمة من دلالات"(٢٦٢)، كما أن الاستعارة بطبيعتها تتخطى حدود الواقع وتنسج صوراً جمالية بفعل الانحراف عن ا للغة المعيارية، وتبعث في المحسوسات المادية نبض الحياة وتنقلها من صفاتها المجردة إلى عالم الخيال. فهي مختزنه بثروة تعبيرية وشعورية تضفي صياغة جديدة للأسلوب وتكسوه بثوب زاه تتشابك خيوطه

---

(١) الانحراف الأسلوبي (العدول) في شعر أبي مسلم البهلاني، للدكتور أحمد على محمد، مجلة جامعة دمشق، المجلد ١٩ العدد ٣+٤ ، ٢٠٠٣ م ، ص ٧٦ .

وتتماهى ألوانه تمنحه جمالاً تصويرياً لأنها " تعتمد على ما في الكلمة من جمل أو خصب كامن"[٢٦٣].

ثم تأتي صورة صيغت من الحقيقة تعبر عن سخرية الشاعر مما يدور في مصر (ربما أشهد ظبيا...البيت)، قمة الكوميديا، حين تستأسد الفئران، أو حين تصطاد الغزلانُ الوادعةُ النمورَ الشرسة ، إن التضاد هنا مفارقة تدعو إلى التعجب والتهكم والسخرية .

ثم يصيح الشاعر صيحة جديدة في السياق نفسه، متحاورا مع بني الإنسان-الإنسان فقط ـ طارحا سؤالا يعبر عن استنكاره من تحدي الأقدار، ومحاولة دفعه، وهو ضرب من المستحيل: (يا بني الإنسان هل من عزمكم... البيت).

ويضيف للصورة لبنة من الأسلوب الخبري، يحمل حقيقة نفسية جبل عليها جيش الاحتلال، ألا وهي نزعة الاستعلاء والمكابرة، فلا يعترفون بحقوق الشعوب ولا يبغون غير مصلحتهم هم، (ما تقرون على مألوفكم ... البيت).

ويختتم الصورة باستفهام يبكت به ذلك الآخر الذي لا تعنيه إلا أطماعه بكل أنواعها، (همة عالية أم نهمة ... البيت).

---

(٢) الصورة الأدبية، مصطفى ناصف، دار الأندلس، ١٩٨١م، ١٢٥.

الخاتمـــة

بحمد الله وتوفيقه قد توصل البحث إلى جملة من النتائج أجملها في العناصر التالية :

أولا: تنوعت الأبعاد الحضارية في دائرة الحوار من خلال شعر أبي مسلم البهلاني ، لتشمل : نظام الحكم : على مستووي المصطلح والملامح ،وكان نظام الحكم شورى غير مستبد ، وكان الحاكم عادلا رحيما بين الرعية وسائر المحكومين ، ومن القيم الإسلامية في السلطان هي تخلقه بخلق الأنبياء .

ثانيا: ومن الملامح الحضارية المرصودة في السلطان، العمل على نهضة الأمة، على المستوى الداخلي، والعمل السياسي الدؤوب على تأمين العمق الأمني القومي للدولة في ظل نظام حكم يتوخى العدل بين أبناء الوطن .

ثالثا: ومن أبعاد الحضارة القضاء والتشريع ، إذ نهضت حكومات الشرق الأفريقي المسلمة بالواجبات التي تناط بها الحكومات في ظلال الإسلام، فأنشأ السلطة القضائية المستقلة ، وقلدت القضاة للفصل بين الناس والنظر في المظالم ، من غير تدخل من أحد في أعمال القضاة.

رابعا: وكان القضاء في (زنجبار) من أهم أركان الدولة (البوسعيدية) العربية الإسلامية ، وكانت الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيس في التشريع ، وكانت الشريعة هي الوجهة المثلي التي يتوجه إليها القضاء الزنجباري في أحكامه، وكان بعض القضاة من السنة وبعضهم الآخر من الإباضية .

خامسا: وقد عني شاعرنا بالتغني بقيمة العدل ، ومعاضدة القضاة ، والإشادة بهم أحياء وأمواتا ، مثل قوله في أحد القضاة (محيط العلم مِفْصالُ القضايا) .

سادسا: ومن أبعاد الحضارة في دائرة الحوار العلم والعلماء ، وقد أخذ في شعر البهلاني ثلاثة محاور، هي الإشادة بالعلم وبيان قيمته في ازدهار الحضارات وقد قرن العلم بالنبوة ، والإشادة بالعلماء سلاح الأمة ومفتاح نهضتها وهم ورثة الأنبياء ، ثم تقريظ الكتب وبيان قيمتها وتاريخ نشرها ، ولم ينس الشاعر نفسه الإشادة بأساتذته ومشايخه من ذوي الفضل عليه ، وهي قيمة تربوية يقتدى بها ، ومعلم من معالم الشخصية المسلمة الملتزمة ، وهذه هي روع العلم وخلقهم في رحاب الإسلام .

سابعا: من خلال شعر البهلاني توقفنا عند بعض الأعلام في العلوم الإسلامية ، منهم العالم الفقيه محمد بن يوسف أطفيش ، ومنهم العالم

الجليل نور الدين السالمي ، الشيخ العلامة أحمد بن سعيد الخليلي، ومن الكتب التي تعرفنا عليها من شعر البهلاني حين قرظها ، وقدم لها : هميان الزاد ، كتاب في التفسير ، ومن الكتب المطبوعة في زنجبار كتاب حاشية الترتيب لأبي يعقوب يوسف إبراهيم الوارجلاني ، وكتاب مختصر الخصال للعلامة نور الدين السالمي، وكتاب منهل الوراد لابن سميط العلوي .

ثامنا: تعددت معالم الصراع الحضاري في شعر البهلاني ، فكان منها الصراع السياسي العسكري ضد قوى البغي التي اعتدت على الإنسان والأوطان ، ومن خلال شعر البهلاني وجدناه يكتب عرائض شعرية محكمة يفند فيها جرائم الاحتلال ، برؤية شعرية سياسية واعية لحقائق الأمور، كان من جملتها :

٧- انتهاك حرمات الأديان ، وحرمة الإنسان والأوطان .

٨- نهب الأملاك والاستحواذ على الأرزاق وتدمير البنية الأساسية .

٩- محاولة إذلال الشعوب المحتلة والتضييق عليهم بمنعهم أسباب الحياة .

١٠- اتساع الرقعة المكانية للمحتل ، وانتشاره وتوغله في البلاد ، المدن والأرياف والصحاري ، حتى المشاركة في مدافن الموتى .

١١- ممارسة الظلم والجور والجبروت بلا رحمة ولا شفقة، لا يراعون عهدا ولا ذمة.

١٢- الممارسة الوحشية في القتل والتدمير والإهلاك.

كل ذلك بصيحات شعرية تصرخ في وجوه المتلقين تحرضهم على الثأر من العدو الظالم .

تاسعا: ولم يتوقف البهلاني في شعره عند حدود الشرق الإفريقي في صراعه الحضاري مع الإنجليز وغيرهم ، ولكنه صارع الإنجليز في مصر ، من خلال قصيدته التي تناول فيها المؤتمر الإسلامي بمصر الذي تمت إقامته في٦ - ٨ مارس١٩١١،بسبب الفتنة الطائفية بين المسلمين والأقباط ، متزامنا مع الرؤية الشعرية في قصيدة أحمد شوقي في الموضوع ذاته .

عاشرا: الصراع في بعده العلمي والتربوي ، فقد كان التعليم نظاما يسعى إلى غرس الشعور بالإذعان في مواجهة أوروبا تحت هيمنة الطبقة الرأسمالية .و تم نقل هذه النزعة الطبقية ذاتها إلى أفريقيا بشكل تلقائي .

الحادي عشر: من يطالع شعر البهلاني لا يجده بمنأى عن هذا الصراع بل كان الرجل على المستوى الفكري والثقافي في قلب الحدث ، وإن كان لم يصطدم بمثل هذا الواقع اصطداما مباشرا ، ربما مراعاة لوضعه السياسي ولوجوده في السلطة القضائية والتشريعية ردحا من الزمن .

الثاني عشر: تستطيع تلمس هذا الصراع حينما يشيد بالقائمين على إنشاء المدارس ورعايتها ووضع مناهجها التي تحافظ على هوية الأمة ، وتعمل على تثبيت شخصيتها في مواجهة التيارات الوافدة ، من علمانية تبناها الاحتلال أو غيرها من التيارات . فهو يشيد بمن أسسوا مدرسة من الوطنيين الغيورين على الوطن .

الثالث عشر: خاض البهلاني الصراع العقدي ضد التيارات الإلحادية والشيوعية والعلمانية، وغيرها من المذاهب الهدامة، فإذا

توقفنا عند المنظور الشعري (للبهلاني) وجدناه قد أخلص في كشف النقاب عن الأخطار المرتقبة على الإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة.

الرابع عشر: كان الشاعر في صراعه مع تلك المذاهب شرسا صامدا يبغي كلمة الحق ويبغي تحرير الأوطان المسلمة من بطش الاستعمار الذي اجترأ على نهب خيرات الوطن، وإذلال الشعوب المغلوبة على أمرها، فكان في شعره مجاهدا ، يبغي إعلاء الإسلام ومناصرة المسلمين وقضاياهم المختلفة.

الخامس عشر: والبهلاني في تناغمه مع الحضارة العربية المسلمة في رؤاه الشعرية ، كان الشاعر المبدع صاحب القضية ، المنافح عنها بكل ما أوتي من قوة ومهارة أدبية .

السادس عشر: وتبين لنا المزج بين الإبداع الشعري والعلوم البينية، واتضح لنا ذلك من خلال دراسة الفكرة الشعرية الممزوجة مع علوم المنطق والفلسفة وعلم الكلام والفقه والتشريع والتصوف وغير ذلك .

السابع عشر: تخير البهلاني معجمه الشعري وانتقى ألفاظه وتراكيبه بعناية ، ولم يخالف القياس اللغوي ، وما تعارفت عليه علوم العربية ، ولكن لوحظ أن شعره يغلب عليه أسلوبيا جزالة الألفاظ ، التي تحدث ضخبا وجلجلة ، ويرجع ذلك إلى طبيعة الشاعر الجادة من جهة ، وإلى طبيعة الأحداث التي مرت بها المنطقة ، فانعكست أصداؤها على فنه ولونته بلونها .

الثامن عشر: وكان في بعض الأحيان يتعمد الإتيان بألفاظ من بطون المعاجم العربية ، ولعل هذه سمة بارزة عند الشعراء العرب في

هذه الحقبة التاريخية ، ونجد مثل هذا في أشعار المحافظين أو الإحيائيين في العالم العربي والإسلامي .

التاسع عشر : كان التكرار ظاهرة أسلوبية واضحة بل لعلها كانت أبرز السمات تجليا بكثافة في شعره ، وتعليل هذا أنه يرجع لصوفية الرجل وصوفية زنجبار وشرق أفريقيا ، والصوفية المتناغمة عادة مع المذهب الإباضي .

العشـــــرون: كثر الاقتباس والتضمين (التناص) من القرآن الكريم ، والبيان النبوي الشريف ، ووظف الشاعر كليهما في التعبير عن قضاياه المختلفة .

الحادي والعشرون : من أدوات التشكيل الشعري بعض المحسنات البديعية ، التي جاءت عضوية تعبيرية في سياقها من النص الإبداعي .

الثـاني والعشـرون : كما استعان بالتراث العربي والإسلامي شخصيات وأحداث ومقولات ووظفها في شعره ، يضيء بها النص في تفاعله مع الحضارة العربية المسلمة .

الثالث والعشرون : الصورة الفنية باختلاف أنواعها كانت وسيلة من وسائل التشكيل الفني للتجربة أو الرؤية الشعرية ، وكانت صورا قريبة المأخذ ، بسيطة واضحة الدلالة ، عضوية داخل النسيج الفني الشعري .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالم

مصادر البحث ومراجعه

(١) أبو مسلم الرواحي حسان عُمان، د.محمد صالح ناصر، ، سلطنة عُمان، ١٩٩٦م.

(٢) أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، علي الحداد، دار الشؤون الثقافية أفاق، بغدا د، ١٩٨٦ م .

(٣) أفريقيا تحت أضواء جديدة ، باذل دافدسن ـ ت. جمال محمد أحمد ـ دار الثقافة ـ لبنان.

(٤) الإسلام والعلمانية وجها لوجه ، للدكتور / يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة السابعة ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .

(٥) الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا : عبد الرحمن زكي ، مطبعة يوسف ، القاهرة ، ١٩٦٥م.

(٦) الإسلام والثقافة الإسلاميَّة في أفريقيا، حسن محمود، ، مكتبة النهضة، القاهرة : ١٩٨٥م .

(٧) الإسهام العُماني في المجالات الثقافية والفكرية والكشف عن مجاهل القارة الإفريقية في العهد البوسعيدي، المنتدى الأدبي، حصاد ندوة ١٩٩٢م ، وزارة التراث القومي، سلطنة عُمان،١٩٩٣.

(٨) الإسهام العماني في المجالات الثقافية والفكرية والكشف عن مجاهل القارة الأفريقية في العهد البو سعيدي، إبراهيم الزين صغيرون ، جامعة عين شمس، مركز بحوث الشرق الأوسط،، ١٩٩٣

(٩) الأصولية والعلمانية ، مراد وهبة ، ، دار الثقافة القاهرة ، ط أولى ١٩٩٥ م .

(١٠)الأعلام ، : لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى : ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين،الطبعة : الخامسة عشر- مايو ٢٠٠٢ م .

(١١) الأقباط والقومية العربية - أبو سيف يوسف ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٧ م .

(١٢) الألفاظ الفارسية المعربة ، تأليف أدي شير ، ط ثانية ، دار العرب للبستاني ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٨ م.

(١٣) الإمبراطورية العُمانية (١٨٥٦ ــ ١٨٦٢) لمؤلفه د. سلطان بن محمد القاسمي ، مؤسسة البيان للصحافة والنشر، دبي، ط٢، ١٩٨٩م.

(١٤)الانحراف الأسلوبي (العدول) في شعر أبي مسلم البهلاني، للدكتور أحمد على محمد ، مجلة جامعة دمشق ،المجلد ١٩ العدد ٣+٤ ، ٢٠٠٣ م .

(١٥) الإيمان بالله والجدل الشيوعي ، فتح الرحمن أحمد محمد الجعلي ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، الرياض ، جدة ، الدمام ، ط أولى ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

(١٦) البناء الفنّي للصّورة الأدبيّة في الشّعر الدّكتور عليّ عليّ صبح،، ط٢، المكتبة الأزهريّة للتّراث، سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

(١٧) البوسعيديون حكام زنجبار : الشيخ عبد الله الفارسي ، طبعة وزارة التراث القومي والثقافة ، عمان ، ١٩٨٨ .

(١٨) التبشير والاستعمار ، للدكتور / مصطفى الخالدي ، والدكتور عمر فروخ ، الطبعة الخامسة ، وزارة التعليم ، ليبيا ، ١٩٧٣ م .

(١٩) التيارات السياسية في الخليج العربي ، د/ صلاح العقاد ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٤ .

(٢٠)الجامع الصحيح سنن الترمذي (محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرين ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

(٢١) الحضارة ، الثقافة ، المدنيّة ـ نصر محمّد عارف ، المعهد العالمي للفكر الإسلاميّ ، فرجينيا ـ ١٩٩٥م .

(٢٢) الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، أحمد عبد الرازق أحمد ، القاهرة : دار الفكر العربي، ١٩٩٠.

(٢٣)الحضارة – دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها للدكتور حسين مؤنس ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٧٨ م .

(٢٤) الديانات في أفريقيا السوداء ،ديشان ، ترجمة أحمد صادق حمدي ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠١١ م .

(٢٥)الدين والحضارة ،عوامل امتياز الإسلام (شهادة غربية) ، د / محمد عمارة ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ، ط أولى ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م.

(٢٦) السلطان سعيد والعلاقات العربية الإفريقية ، د / محمد حسن العيدروس، دار المتنبي للطباعة والنشر، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة – ط أولى (د.ت) .

(٢٧) الشعر الجاهلي : الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ، ط٢، بيروت: دار الكتاب اللبناني ١٩٧٣.

(٢٨) السلوى في أخبار كلوة، عبد الله بن مصبح الصوافي، تحقيق محمد على الصليبي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان ١٤٠٥،هـ /١٩٨٥م.

(٢٩) السموط الذهبية في الأسئلة والأجوبة الفقهية (ط١) موسى بن عيسى البكري ـ مطابع النهضة ـ مسقط (عمان) ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

(٣٠) الشّعر المعاصر على ضوء النّقد الحديث ، مصطفى عبد اللّطيف السّحرتي، ط٢، مطبوعات تهامة، جدّة، المملكة العربيّة السّعوديّة، سنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م .

(٣١) الشعر العربي المعاصر، عز الدين إسماعيل، المكتبة الاتحادية، القاهرة، ١٩٩٢م .

(٣٢) الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي ، مدحت سعيد الجيار ، الدار العربية للكتاب ، والمؤسسة الوطنية للكتاب، ليبيا، ١٩٨٤م .

(٣٣) التنصير والاستعمار في أفريقيا السوداء ، عبد العزيز الكحلوت ، منشورات كلية الدعوة ، ليبيا ،الطبعة الثانية ، ١٩٩٢ م .

(٣٤)الحيوان الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، ط ثانية ، مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٨٥ ه – ١٩٦٥ م .

(٣٥) الخليج العربي ، د جمال زكريا قاسم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٦ م .

(٣٦)الدعوة إلى الإسلام ، توماس أرنولد ، ترجمة الدكتور حسن إبراهيم وآخرين ، ط ثالثة ، ١٩٧٠ م .

(٣٧)الشورى في الشريعة الإسلامية ، القاضي حسين بن محمد المهدي ،تقديم: د. عبدالعزيز المقالح ، بوزارة الثقافة ، السعودية ، ٢٠٠٦م .

(٣٨)الشوقيات الأعمال الشعرية الكاملة: أحمد شوقي، دار العودة، بيروت، لبنان، ١٩٨٨ م .

(٣٩) الشيوعية والإسلام ، عباس محمود العقاد ، و أحمد عبد الغفور عطار ، ط ثانية ، دار الأندلس ، بيروت لبنان ، ١١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢ م .

(٤٠)الصحافة العمانية المهاجرة محسن الكندي ، رياض الريس للكتب والنشر - بيروت ٢٠٠١ .

(٤١)الصورة الأدبية، مصطفى ناصف، دار الأندلس، ١٩٨١م .

(٤٢) الصورة الفنية في شعر مسلم بن الوليد ، د/ عبد الله التطاوي- دار غريب ٢..٢م - القاهرة.

(٤٣)الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر بيروت ، ١٩٦٠م .

(٤٤) العرب وأفريقيا (مجموعة أبحاث) تحت إشراف د رؤوف عباس، دار الثقافة العربية – القاهرة ١٩٨٧ م .

(٤٥) العرب وتأثيرهم في شرق أفريقيا ، ندوة العرب في أفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر، سليمان عبد الغني المالكي : مصر ،جامعة القاهرة ، ١٩٨٧م .

(٤٦) العلاقات العربية الإفريقية : دراسات تاريخية للآثار السلبية للاستعمار ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

(٤٧) العلاقات العمانية البريطانية في القرن التاسع عشر، د / إسماعيل أحمد ياغي ، القاهرة (د.ت) .

(٤٨) العلمانيون والإسلام ، محمد قطب ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، وبيروت ، لبنان ، ط أولى ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .

(٤٩) العُمانيون وأثرهم في الجوانب العلمية والمعرفية بشرق إفريقيا، ، أحمد بن حمد الخليلي المنتدى الأدبي، حصاد ندوة ١٩٩١ - ١٩٩٢م، وزارة التراث القومي، ١٩٩٢م.

(٥٠) العمانيون ونشر الإسلام والثقافة العربية في شرق أفريقيا، زياد بن طالب المعولي (مدير معهد العلوم الشرعية) سلطنة عمان ، مقال منشور عبر شبكة الإنترنت موقع التراث (المعرفة والتعارف والاعتراف)
http://www.tourath.org/ar/content/view/٢١٤٥/١

(٥١) العمانيون وقلعة ممباسا ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، ط ثالثة، ١٤١٥ ه / ١٩٩٤م .

(٥٢)العمدة في صناعة الشعر ونقده، لابن رشيق القيرواني،تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل، بيروت، ط خامسة ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

(٥٣)الفكر الاشتراكي فى مائة وخمسين عاما ، بول لويس ، ترجمة وتقديم عبد الحميد الدواخلى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢م .

(٥٤)الكلمات الأعجمية والغربية في التاريخ الإسلامي ، عاتق بن غيث البلادي، ص ٤٩ ، دار مكة للنشر والتوزيع، السعودية ط أولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠ م .

(٥٥)اللوامع البرقية في رحلة مولانا السلطان المعظم حمود بن محمد بن سعيد بن سلطان في الأقطار الأفريقية الشرقية ، ناصر بن سالم بن عديم الرواحي ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، سلسلة تراثنا ، العدد ٤٧ ، سبتمبر ، ١٩٨٣ م .

(٥٦) الماركسية والإسلام ، دكتور مصطفى محمود دار المعارف القاهرة ١٩٧٥ م .

(٥٧)المتنبّي مالئ الدّنيا وشاغل النّاس محمّد التونجي، عالم الكتاب ، بيروت ، ط ثانية ١٩٩٢م .

(٥٨)المؤثرات الإسلامية والمسيحية على الثقافة السواحلية : د. عبد الرحمن أحمد عثمان، دار جامعة أفريقيا.الطبعة الأولى عام ٢٠٠٠ .

(٥٩) المستقصي في أمثال العرب للزمخشري ، دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الثانية : ١٩٧٠م .

(٦٠) المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا، للدكتور/ عبد الله عبد الرازق إبراهيم، الفصل السادس المسلمون والغزو الأوروبي للصومال، عالم المعرفة ، الكويت، ١٩٨٩م.

(٦١) المقدمّة العلاّمة عبد الرحمن بن محمّد بن خلدون - دار الجيل،بيروت – د. ت .

(٦٢)المعجم الأوسط ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، بتحقيق طارق بن عوض الله بن محمد،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين - القاهرة ، ١٤١٥ ه .

(٦٣)المعجم الكبير للطبراني ، ، سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق :حمدي بن عبد المجيد السلفيدار ، :مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، الطبعة الثانية .

(٦٤) الملخص المفيد في علم التجويد ،محمد أحمد معبد، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، السعودية (بدون) .

(٦٥)الموسوعة الميسرة للتراث العماني ، ديوان أبي مسلم البهلاني عرض ودراسة للدكتور صلاح رزق ، سلطنة عمان ، الطبعة الأولى ١٤١٥ ه – ١٩٩٥ م.

(٦٦)النيل ، إيميل لودفغ ، تعريب عادل زعيتر ، دار المعارف ، ١٩٥١م .

(٦٧) الوجيز في إقليمية القارة الأفريقية، أنور عبد الغني العقاد ، دار المريخ للنشر الرياض ، ١٩٨٢ م.

(٦٨)الوساطة بين المتنبي وخصومه، للقاضي عبد العزيز الجرجاني (ت ٣٦٦هـ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ومحمد على البجاوي، عيسى البابي الحلبي، القاهرة ، مصر (د.ت) .

(٦٩)انتشار الإسلام ومناهضة الغرب له ، محمد عبد الله النقيرة ، دار المريخ للنشر ، السعودية، الرياض ، ١٩٨٢م .

(٧٠) أنوار الربيع في أنواع البديع ، لابن معصوم، تحقيق شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان ، النجف، ط١، ١٩٦٩م.

(٧١) أوروبا والتخلف في أفريقيا ، دوالتر رودني ، ترجمة د أحمد القصير ، مراجعة د إبراهيم عثمان ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٨م .

(٧٢)تاريخ الأمم والملوك، الطبري، محمد بن جرير ،دار الكتب العلمية، ط١، بيروت ١٤٠٧هـ) .

(٧٣) تاريخ الحضارات العامّ - إشراف موريس كروزيه - نقله إلى العربيّة فريد داغر وفؤاد أبو ريحان - منشورات عويدات، بيروت - الطبعة الأولى ١٩٦٤ .

(٧٤) تاريخ عُمان، وندل فيليبس ، ترجمة محمد أمين عبد الله، وزارة التراث القومي، سلطنة عُمان، ١٩٨١م.

(٧٥) تحقيق مشارق أنوار العقول، تأليف/إبراهيم بن ناصر الصوافي و أسعد بن حمود الصوافي ، و أحمد بن درويش السيابي ، و صالح بن سعيد المعمري ، معهد العلوم الشرعية ، عمان ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

(٧٦) تذكار المؤتمر القبطي الأول ، توفيق حبيب ، القاهرة :مطبعة الأخبار، (د.ت) .

(٧٧)تطور الشعر العماني المعاصر(في النصف الثاني للقرن العشرين) دكتور محمد بن مسلم بن دبلان المهري ، ص ٤٢ ، النادي الثقافي مسقط – دار الفرقد ، ط أولى ٢٠١٠م .

(٧٨)تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر.

(٧٩)جغرافيا الحضارات رولان بريتون - -تعريب خليل أحمد خليل - منشورات عويدات، بيروت باريس - الطبعة الأولى ١٩٩٣ .

(٨٠)جمهرة الأمثال ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق الدكتور أحمد عبد السلام ، وزميله ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط أولى ١٤٠٨ ه – ١٩٨٨ م .

(٨١)جهود المفكرين المسلمين المعاصرين في مقاومة الإلحاد ، دكتور/ محمد عبد الحكيم عثمان، مكتبة العارف ، الريض ، السعودية (د.ت) .

(٨٢) جهينة الأخبار، سعيد بن علي المغيري، وزارة التراث القومي، ط٤، سلطنة عُمان، ٢٠٠١م.

(٨٣)جوابات الإمام السليمي طبع عبد الستار أبو غادة ، الطبعة الثانية ١٤١٩/١٩٩٩ .

(٨٤) حاشية الترتيب؛ تأليف: أبي يعقوب يوسف إبراهيم الوارجلاني ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤٠٢ ه / ١٩٨٢ م .

(٨٥)حركة الجهاد الإسلامي الصومالي ضد الاستعمار ،علي محمود معيوف، القاهرة: دار النهضة العربية.

(٨٦)حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ، العقاد ، منشورات المؤتمر الإسلامي ، القاهرة، ط أولى ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م .

(٨٧) حقائق تاريخية عن العرب والإسلام في أفريقيا الشرقية ، محمد أحمد مشهور الحداد : دار الفتح ،بيروت ، لبنان ، ط/١ ، ١٩٧٣م

(٨٨)حول الأديب والواقع ، عبد المحسن طه بدر، ط ثامنة، دار المعارف ، القاهرة (د.ت) .

(٨٩)خلاصة علم الكلام ، للدكتور عبد الهادي الفضلي، ص ٢١ ، دار المؤرخ العربي، بيروت لبنان ، منشورات الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، ط ثانية ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م .

(٩٠)دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة انتشار الإسلام) د / عطية مخزوم الفيتوري ، منشورات جامعة قاريونس بنغازي الطبعة الأولى ، ١٩٩٨ م .

(٩١)*دليل أعلام عمان* ، السعيد محمد بدوي وآخرون ، المطابع العالمية ، مسقط ، سلطنة عمان ١٩٩١ .

(٩٢) دولة اليعاربة، عائشة علي اليسار، مطابع دار الصحف الوحدة، أبو ظبي، ط٣، بدون تاريخ .

(٩٣) ديوان أبي تمام ، شرح الخطيب التبريزي ، تحقيق : محمد عبده عزام ، ط دار المعارف ، مصر .

(٩٤) ديوان أبي مسلم وزارة التراث القومي والثقافة – سلطنة عمان – ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م .

(٩٥)ديوان الشنفرى ،جمع وتحقيق : الدكتور إيميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ثانية ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م .

(٩٦)ديوان امرئ القيس، ضبط وتصحيح ، الأستاذ مصطفى عبد الشافي ، منشورات محمد على بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الخامسة ، ١٤٢٥ ه _ ٢٠٠٤م .

(٩٧)رحلة ابن بطوطة ، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٢ ه .

(٩٨)ساحل شرق أفريقيا من فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي، محمود محمد الحويري : ط ١ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٦ .

(٩٩) سليمان الباروني باشا في أطوار حياته - أبواليقظان الحاج إبراهيم - الدار العمانية (ط١) - مسقط (عمان) ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م .

(١٠٠) سنن أبي داوود (سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي) ، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر .

(١٠١) سنن الترمزي : مسند الإمام أحمد بن حنبل (أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني) ، مؤسسة قرطبة – القاهرة .

(١٠٢) سينون حنا ، د. رمزي ميخائيل ، القاهرة .

(١٠٣) شعب الإيمان للبيهقي ، (أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي) ، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١٠، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول .

(١٠٤) شعر عمر بن الفارض دراسة في فن الشعر الصوفي للدكتور عاطف جودة ناصر دار الأندلس للطباعة و النشر الطبعة الأولى ١٩٨٦م .

(١٠٥) شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان محمد بن راشد الخصيبي - وزارو التراث القومي والثقافة مسقط ، ١٩٨٤م .

(١٠٦) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، للقلقشندي ، دار الكتب المصرية ، ١٩٣٩م .

(١٠٧) عمان بين الاستقلال والاحتلال ، للدكتور / خالد ناصر الوسمي ، مؤسسة الشراع العربي ، الكويت ، ط أولى ١٩٩٣م .

(١٠٨) صحيح البخاري بحاشية السندي ، دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى البابي الحلبي .

(١٠٩) صحيح مسلم (كتاب الإيمان) ، الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ،تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربيّ ، بيروت، لبنان– دون تاريخ .

(١١٠) صراع القوى العظمى حول القرن الإفريقي، صلاح الدين حافظ، عالم المعرفة الكويت، ١٩٨٢م .

(١١١) عمان تاريخا وعلماء ، أ.ف.سي ولكنسون، ترجمة محمد أمين عبد الله ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، ط الثالثة ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤م .

(١١٢) عمـان فـي أمجادهـا البحريـة ، مجهـول المؤلـف ، وزارة التـراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤م .

(١١٣) عُمـان والحضـارة الإسـلامية، ، فهمـي جـدعان وتوفيـق مرعـي: وزارة التربية والتعليم، سلطنة عُمان، ١٩٨٤م .

(١١٤) عمان وشرق أفريقيا ، د / أحمد محمود المعمري ، ترجمة محمد أمين عبد الله ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٩٨٠م .

(١١٥) عندما دخلت مصر في دين الله ، د / محمد عمارة ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٧م .

(١١٦) فتح الباري، باب: هجرة الحبشة لابن حجر العسقلاني، ، (القاهرة: مؤسسة الريان، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

(١١٧) فقه السيرة محمد الغزالي ، (دمشق: دار القلم، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م)

(١١٨) في الفقه الحضاري (نحو منهج جديد لدراسة حضارة الإسلام) د عماد الدين خليل ، كلية التربية – جامعة الموصل – العراق .

(١١٩) قلائد الجمان في أسماء بعض شعراء عمان ، حمد بن سيف البوسعيدي- مطبعة عمان ومكتبتها - مسقط ١٩٩٣ .

(١٢٠) قصة فتح مصر من القبطية إلى الإسلام ، حامد سليمان ، المكتب العربي للمعارف ،القاهرة ، ١٩٨٨م .

(١٢١) كتابة اللغات الأفريقية بالحرف القرآني ، بابكر حسن قدرماري جامعة أفريقيا العالمية ، ط/١ ، ٢٠٠٦م .

(١٢٢) لمحات تاريخية عن انتشار الإسلام في أوغندا إبراهيم الزين صغيرون . - مجلة كلية العلوم الاجتماعية (جامعة الإمام محمد بن سعود

الإسلامية) .المملكة العربية السعودية - ع٦ (١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م)
.

(١٢٣) مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبا (شهادة ألمانية) للقس الألماني الدكتور جوتفرايد كونزلن ، تقديم وتعليق د / محمد عمارة ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٩ .

(١٢٤) مختصر دراسة للتاريخ - أرنولد توينبي - تعريب فؤاد محمّد شبل - الادارة الثقافيّة في جامعة الدول العربيّة، القاهرة - الطبعة الأولى ١٩٦٠م .

(١٢٥) مدارج الكمال بنظم مختصر الخصال"؛ لنور الدين السالِميّ (ت١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م)، طبعة سنة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م .

(١٢٦) مدخل إلى التاريخ و الحضارة الإسلامية - عماد الدين خليل– – كوالالمبور . الجامعة الإسلامية العالمية

(١٢٧) مدخل إلى دراسة الأدب في عمان ، د أحمد درويش ، دار الأسرة للطباعة والنشر والتوزيع ، ودار المعارف بمصر ، ١٩٩٢م .

(١٢٨) مذكرات عن بعض حوادث الماضي قليني فهمي باشا ،القاهرة .

(١٢٩) مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦ هـ) المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت ، لبنان ، ط أولى : ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥م .

(١٣٠) مصر في أفريقيا الشرقية ، للدكتور / محمد صبري ، مطبعة مصر ومكتبتها ، القاهرة ، ١٩٣٩م .

(١٣١) معارج الآمال على مدارج الكمال بنظم مختصر الخصال ، للشيخ العلامة عبد الله بن حميد بن سلوم السالمي ، بتحقيق / محمد محمود إسماعيل (المقدمة) وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان ١٤٠٣ ه /١٩٨٣م .

(١٣٢) معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ، دمشق، سورية، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .

(١٣٣) مناهج الشريعة الإسلامية ، الشيخ أحمد محيي الدين العجوز ، مكتبة المعارف - بيروت ١٤٠١هـ ١٩٨١م

(١٣٤) منهل الوُرَّاد ، تأليف أحمد بن أب بكر بن سميط العلوي، تم طبعه سنة ١٣١٣ ه / ١٨٩٥م .

(١٣٥) نهاية الأرب في فنون الأدب، النويري، شهاب الدين، ، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧٣هـ ١٩٥٥م .

(١٣٦) نهضة الأعيان بحرية عمان / تأليف ،أبي البشير محمد شيبه بن نور الدين عبد الله بن حميد السالمي ، مكتبة التراث (د.ت) .

الدوريات :

(١٣٧) الأهرام ، عدد يوم السبت ١٤ من شوال ١٤٣٠ هـ - ٣ أكتوبر ٢٠٠٩م ، العدد رقم ٤٤٨٦١.

(١٣٨) جريدة المقطم ، عدد ٢١ / ٢ / ١٩١٠م .

(١٣٩) الجريدة ٢١ / ٢ / ١٩١٠م .

(١٤٠) المقطم ٢٣ فبراير ١٩١٠ ، والجريدة ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ / فبراير ١٩١٠م .